

الثقافة  
ثراء  
وسيرة  
لا تنتهي

# الأدب الأسبوعي

www.awu.sy

العهد الذهبي  
لاتحاد الكتاب  
العرب

2019 - 1969

25 ل.س

12 صفحة

الأسبوع الأدبي - السنة الواحدة والثلاثون "العدد: 1692" الأحد 8/30/2020م - 4 محرم 1441

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

• مالك صقور

كلمة أولى

## إن الأدب كان مسؤولاً

كتب المرحوم الأديب جلال فاروق الشريف كتابه (إن الأدب كان مسؤولاً) عام 1978، وقد أخذ بدوره هذا العنوان - كما يقول في مقدمته - عن كراس نقله عن الإنكليزية المرحوم الأديب رثيف خوري.

يتضمن هذا الكراس خلاصة تقرير سكرتير الحزب الشيوعي السوفيتي حول قضية الأدب زوتشكو والشاعرة أنا أخماتوف.

ولأن قارئ هذه الأيام، خاصة، من الشباب لا يعرفون هذه القضية، أرى أن أوجز قضية (جوانوف) أو (جوانوفية) في الأدب السوفيتي.

وقضية جوانوف أشبعت نقاشاً وجدلاً حتى القتل. وأنا، هنا، لا أريد أن أعيد ما كتب منذ أكثر من سبعين عاماً، حول بعض الأدباء الذين ناهضوا ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، لم ترق لهم القرارات الثورية، فمنهم من فر خارج حدود روسيا إلى أوروبا وأميركا، ومنهم من بقي في روسيا، ولكن لم يرض عن الثورة الاشتراكية. ولأنني أعرف الموضوع عن كثب، أقول: إن النقد الأدبي الغربي - الأوروبي عموماً والأميركي خاصة، ضخم قضية جوانوف، وأعلن العداء السافر على الثورة الفنية التي غيرت وجه التاريخ، وأنصفت المسحوقين، وتقتضي الأمانة، اليوم، القول: إن ما طرحه جوانوف عن أدب الالتزام، لم يترجم إلى اللغة العربية ترجمة أمينة عن اللغتين الفرنسية والإنكليزية، وتلك المرحلة، ارتبطت بالعهد الستاليني حصراً، الذي أراد للأدب أن يكون في صالح الطبقة العاملة، وأن يكون في خدمة قضايا الشعب.

فأدب الالتزام، ترجم من الغرب، أنه تقييد للحريات وعلى الأديب أن لا يكون ملتزماً أيديولوجياً، بحجة «الحرية».

أعيد باختصار:

إن بروز الطبقة العاملة، وانتصارها، طرح قضايا جديدة في حقول الأدب والفن، وكان على

الأدب والفن أن يجريا مقاربة حديثة للواقع الجديد الذي صنعه الثورة.

الواقع الجديد - الثوري: رسوم السلام، توزيع الأراضي على الفلاحين، وتأميم المصانع الخ، طُور

مفهوم الواقعية النقدية إلى الواقعية الاشتراكية..

لقد شكلت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، منعطفاً حاسماً في تاريخ البشرية، فأدى الفنانون

المدافعون عنها إلى أدب واقعي - أدب جديد - وهذا من الطبيعي أو المنطق أن ينهض أدباء يدافعون

عن ثورتهم عن قضايا الشعب، عن واقعهم الجديد، بعدما سقطت عهد الإقطاع والعبودية

والاستبداد، أدب ينهض بأدب الشعب وقضايا الإنسانية، والاجتماعية، وفي الوقت نفسه يناهض

أيديولوجيا الإقطاع والعبودية والحكم المطلق المستبد.

ومفهوم الواقعية الاشتراكية، لم يتبلور بعد الثورة إلا في المؤتمر الأول لاتحاد الكتاب

السوفييت عام 1934.

في ذلك المؤتمر، طرح مكسيم غوركي نظريته ورأيه في مقولة (الواقعية الاشتراكية).

وبالمناسبة، ألقى أندريه جوانوف محاضرة «حول الأدب» وقد أوضح جوانوف في حديثه أن هدف

الواقعية الاشتراكية هو تقديم الواقع في تطوره الثوري.

في هذا السياق يقول فيصل دراج: «ومن الطريف أن نشير إلى أن محاضرة جوانوف، وهو إنسان

أو ثقافة عريضة، لم تتسم بالجمود والدوغمائية، فقد ركز على خصوصية الأدب وضرورة البحث

عن أشكال إبداعية جديدة».

ويستطرد دراج قائلاً: قامت الواقعية الاشتراكية، إذن، على أرضية تاريخية، تراث فني

عريض وتجربة ثورية رائدة.

نعم!

إن الأدب مسؤول، وهذا يعني، أن الأديب مسؤول، والمسؤولية، هنا، في رأيي تنحصر بالالتزام

الأديب بقضايا أمته، وشعبه، والمحيط الذي يحيط به، ولا يكفي القول: إن الأديب شاهد على

عصره، أو، أن الأدباء مرآة الحياة.



لوحتان للفنان التشكيلي إبراهيم الحميد

## الظرف والطرفة والفكاهة

• أ.د. منى إلياس

الظرف والطرفة والفكاهة وما شابه ذلك من الدعابة والمزح كثر شيوعها في الأدب العربي، فما هي هذه الألوان؟ الظرف كما يعرفه اللغويون هو حسن العبارة. وفي لسان العرب عند الأصمعي وابن الأعرابي: أن الظريف هو البليغ الجيد الكلام، وقالوا: إن الظرف في اللسان، واحتجا بقول عمر بن الخطاب في الحديث إذ قال: «إذا كان اللص ظريفاً لم يُقطع» أي لم يعاقب، ومعناه: إذا كان بليغاً جيد الكلام احتج عن نفسه بما يسقط الحد. ونظيره هذا كثير من استطاع أن ينجو من العقاب والحد الشرعي بسبب ظرفة وبلاغته وجودة كلامه. ومن هؤلاء كان ابن هرمة، وكان شاعراً ماجناً ومدمناً على شرب الخمر، حتى شاع عنه هذا البيت:

أسأل الله سكرة قبل موتي

وصياح الصبيان يا سكران

وقد ابن هرمة المنصور مرة بقصيدة فسأله عما يريد به جزء على قصيدته؟ فقال: أن تكتب إلي عاملك في المدينة أن لا يحدثني إن وجدني سكران. فقال المنصور: «إن هذا حد، لا سبيل إلى تركه» فقال ابن هرمة: وأنا لا أريد غير هذا. فكتب المنصور إلى عامله بالمدينة: إن عليك أن تضرب ابن هرمة ثمانين جلدة إذا جاء به سكران، وتضرب من يجيء به مائة سوط. فكان الشرط يمرن به وهو سكران فيقولون: «من يشترى ثمانين بمائة؟» ويتركونه.

وقال محمد بن يزيد: الظريف مشتق من الظرف، وهو الوعاء، كأنه جعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الأخلاق، وفي تاج العروس عن الكسائي يقال: «وجه ظريف، ولسان ظريف، وقد أجاز قولك: ما أظرف زيد؟ في الاستفهام: ألسانه أظرف أم وجهه؟»

وقال رجل لأبي الأسود: «إنك ظرف علم ووعاء حلم، غير أنك بخيل، فقال أبو الأسود: «لا خير في ظرف لا يسك ما فيه».

أما الطرف فهو قريب من الظرف، وشيء طريف أي طيب غريب، وعن ابن الأعرابي في لسان العرب: خير الكلام ما طرقت معانيه، وشرفت مبادئه، والتذته أذان سامعيه، وأطرف فلان إذا جاء بطرفة.. والأسم الطرفة بالضم: قال الفيروز أبادي في القاموس: «وامرأة طرف الحديث: حسنته، يستطرفه من سمه، ومن هذا ما جاء في نهاية الأرب: أن امرأة مرت بنتي نيميرفتقامزوا عليها فقالت: يا بني نيمير لم تعلموا بقول الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أو بقول الشاعر: «فغض الطرف إنك من نيمير فحججوا».

ونظيره هذا من طرف المرأة ما روى الأصمعي وهو أن عجوزاً من الأعراب جلست في طريق مكة يشربون نبيذاً، فسقوها قدحاً، فطابت نفسها، فتبسمت، فسقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحت، وسقوها ثالثاً فقالت: خبروني عن نساكم بالعراق، أيشربن النبيذ؟ قالوا: نعم، قالت: «زئير ورب الكعبة، والله إن صدقتكم فما فيكم من يعرف أباه».

والفكاهة هي التمر كله، وهذا قول أهل اللغة كما جاء في تاج العروس، ومن المجاز القول: فكهم بلع الكلام تفكيهاً، إذا أظرفهم بها، وقد فكه الرجل فكها وفكاهة، فهو فكه وفكاهة أي طيب النفس ضحوك، مزاح. ورجل فكه يحدث صحبه، فيضحكهم، والفكاهة المزاح. قال ابن منظور: رجل فكه وفكاهة وفكاهة، وهو الطيب النفس المزاح. وقد عزز الإسلام الفكاهة والظرف والبشاشة وأنكر العبوسة والتجهم في الكثير من الآيات القرآنية، وفي الكثير من الأحاديث المروية عن النبي وحلفائه وأصحابه، واعتبر العبوسة صفة الشذوذ اللخيبة على الصفة الإنسانية.

والفكاهة والظرف في مفاهيم الإسلام من صفات أهل الجنة. وخص الله أهل الجنة بصفة الفكاهة، وجاء ذكرهم في مواضع مختلفة في القرآن الكريم كما جاء في الآية: (في شغل فاكهون)، وجاء (إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين) وفي الحديث الشريف: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت».

وفي حديث أنس على ما جاء في لسان العرب، أن النبي كان من أفكه الناس وعن عائشة، وقد سئلت كيف كان رسول الله إذا خلا في بيته؟ قالت: كان ألين الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً، وقال النبي: «إني لأمزح ولكنني لا أقول إلا حقاً».

وفي الروايات أنه كان لبعض الأنصار جارية سوداء، وأنها كانت تختلف إلى السيدة عائشة، فيجدها عندها فيضحكون جميعاً، واقتدها النبي مرة فقيل له: إنها مريضة، فجاءها النبي فوجدها في غرغرة الموت، فقال لأهلها: إذا توفيت فأذنتوني، فلما توفيت أذنتوه، فشدها وصلى عليها وقال: «اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكني، فأضحكها مزحاً».

ومن صفات المؤمن في الإسلام أن يكون «هشاً بشاً» وكان الإمام علي مشهوراً بالدعابة وخفة الروح والفكاهة، حتى قال من لم يستسخ الفكاهة: «لولا دعابة فيه، وقد أثر عن الإمام أنه قال: «من كانت فيه دعابة فقد برأ من الكب».

## سبعون سنة من ذاكرة التشكيل السوري

• سعد القاسم

تأسست وزارة الثقافة بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة التي ضمت مصر وسورية عام 1958 انتقلت مسؤولية تنظيم المعرض إلى مديرية الفنون الجميلة التي أنشئت فيها. وقد قامت المديرية عام 1959 بقسم المعرض إلى اثنين: (معرض الربيع) في حلب، و(معرض الخريف) في دمشق وألغت مبدأ الجوائز واستبدلته بسياسة الاقتناء وقامت وزارة الثقافة باقتناء 21 عملاً بين لوحة ومنحوتة. وقامت وزارة التربية باقتناء 19 عملاً، ومديرية الآثار والمتاحف 15 عملاً، ومديرية حصر التبغ والتبناك 4 لوحات، واقتنيت 4 لوحات أيضاً من جهات مختلفة. يلفت النظر أن إلغاء مبدأ الجوائز في المعرض السنوي جاء بعد عام واحد من تأسيس (رابطة الفنانين السورية للرسم والنحت)، والتي طالبت بهذا الإلغاء، وهو ما يسمح بالاعتقاد أن الفنانين، أو على الأقل المنتسبين إلى الرابطة، لم يكونوا موافقين على مبدأ الجوائز، وخاصة في ظل الجدل القائم آنذاك بين مناصري التيارات التقليدية، ومناصري التيارات الحديثة. وأيضاً بسبب الحساسيات التي كانت تخلقها الجوائز بين الفنانين، وأكثرها علانية ما حصل حين منحت لجنة تحكيم معرض 1926 جائزتها لميشيل كرشه مقدمة إياه على توفيق طارق وكان الأخير منحازاً بشدة إلى الأسلوب الواقعي الطبيعي ولماحا وعصبي المزاج وشديد الاعتداد بنفسه، فكان رد فعله حاداً للغاية. وعلى ما وصلنا فإن ميشيل كرشه المعروف بلطفه ومسألته تجاهل هذا الاستفزاز، بخلاف كثير من طلابه ومحبيه الذين ساءهم هذا التصرف واتخذوا موقفاً من توفيق طارق أمتد لسنوات طويلة بعد رحيل الفنانين الرائدتين.

بعد بضع سنوات أعادت مديرية الفنون الجميلة دمج المعرضين في معرض واحد، استمر - كما بدأ - بتقديم صورة متكاملة وشاملة عن المشهد التشكيلي السوري بسبب حرص الفنانين باختلاف اتجاهاتهم الفنية ومدارسهم وأجيالهم على المشاركة، ما أدى إلى استمرار نمو أهمية المعرض التي بلغت ذروتها في الثمانينات، حيث صار يقام تحت الرعاية السامية للسيد رئيس الجمهورية، ودمج فيه معرض سنوي كانت تقيمه نقابة الفنون الجميلة تحت عنوان (تحية إلى ثورة الثامن من آذار)، ودخلت في إطاره أقسام جديدة كالخط العربي والتصوير الضوئي، وصار أشبه ما يكون بالمهرجان التشكيلي تتوزع معارضه على عدة صالات في مقدمتها صالة الشعب التي أحدثت مطلع السبعينات لصالح نقابة الفنون الجميلة، كواحدة من أكبر صالات العرض حينذاك (إذا استثنينا صالة المتحف الوطني بدمشق).

لم تكن صالات المعرض السنوي هي المكان الوحيد التي تلتقي فيها أعمال التشكيليين السوريين بالجمهور، فإلى جانبها صالات المراكز الثقافية، وصالة وزارة التربية، وصالة المركز الوطني للفنون البصرية، وصالة لؤي كيالي، إضافة إلى الصالات الخاصة، وفيما يتعلق بتلك الأخيرة فربما كانت الريادة للمكتبة العمومية التي كانت قائمة في الأربعينيات مواجهه مهنى الهافانا بدمشق، فقد كانت تعرض في واجهتها كل أسبوع لوحة لأحد ثلاثة فنانين متنافسين هم ميشيل كرشه وسعيد تحسين وعبد الوهاب أبو السعود، وكان هواة الفن ومحبو الفنون الجميلة ينتظرون يوم السبت ليشاهدوا اللوحة الجديدة. وفي وقت لاحق بدأ نشوء صالات العرض، وقد لعبت دوراً مهماً في الحياة التشكيلية والثقافية السورية، وخاصة صالة (الفن الحديث العالمي) لمحمد دعدوش التي تأسست أواخر عام 1960 وأصبحت فيما بعد صالة (أورنيثا للفن الحديث) وتبدل مكانها غير مرة، وصار يديرها شقيقه الفنان محمود دعدوش. وعلى امتداد الخمسين سنة التالية افتتحت بضع صالات في دمشق كان من أهمها صالة (الصيوان) التي تأسست عام 1962 وكانت تقوم في (شارع الكنيسة) أحد تفرعات شارع الجلاء (أبورمانة) ويديرها الفنان غياث الأخرس والسيدة منى أسطواني. إلى أن أطلت التسعينيات فشهد مطلعها افتتاح عدد كبير من صالات الفن التشكيلي بما وصف يومذاك بـ (فورة الصالات)، وأدى هذا إلى زيادة عدد المعارض بشكل كبير وبالتالي زيادة اهتمام الوسط الإعلامي والثقافي بهذه

الظاهرة، غير أن حركة افتتاح الصالات لم تكن دائماً حركة متصاعدة، بل على العكس من ذلك كانت حركة يسودها ارتباك واضح، فكثيرة هي صالات العرض التي افتتحت ثم أغلقت بعد وقت قصير. وقد لعبت دوراً هاماً في خلق العلاقة بين الفن التشكيلي والجمهور، وقد تكون في هذا المجال الحلقة الأكثر أهمية. فهي - حتى في جانبها التسويقي- خيار أفضل، بالنسبة للجمهور. وتقوم في دمشق اليوم إحدى عشرة صالة خاصة هي صالات: السيد وعشتار ومصطفى علي والأرت هاوس وتجليات وسامر قزح وجورج كامل وفتاح المدرس وألف نون ومشوار وزوايا. والأخيرة هي أحدث صالات العرض في دمشق. وتستضيف هذه الصالات باستمرار معارض التشكيليين السوريين الفردية والجماعية، إلا أن المعرض السنوي يبقى الأهم بينها، فهو معرض المعارض الذي لم يفقد ألقه رغم الظروف القاسية التي تشهدها سورية منذ سنوات طوال، بفضل الحرص على استمراره وتطوره، وهو حرص يشترك فيه القاصون عليه مع المشاركين فيه.

في عام 1950 أقيم للمرة الأولى المعرض السنوي للفن التشكيلي السوري في المتحف الوطني بدمشق ومع دخول عام 2020 يكون هذا المعرض قد دخل عامه السابعين، دون توقف، ما يجعله أحد أقدم المعارض التشكيلية الدورية العربية.

كانت المرحلة السابقة لتأسيس المعرض السنوي قد شهدت عدة محاولات للانتقال بالفن التشكيلي السوري من حالة النشاط الفردي، إلى حالة الاهتمام الاجتماعي، والرسمي. ففي عام 1926 أقيم أول معرض للفن التشكيلي في مدرج جامعة دمشق، وكانت له لجنة تحكيم وجائزة، ثم أقامت وزارة المعارف عام 1940 أول معرض رسمي في كلية الحقوق بدمشق (مبنى وزارة السياحة حالياً)، وإليهما أقيمت عدة معارض جماعية منها: معرض معهد الحرية (اللاييك) عام 1944، ومعرض نادي يقظة المرأة الشامية، ومعرض بناية الحقوق عام 1942، ومعرض التجهيز الأولى عام 1945، وكان المعرض الرسمي الثاني لوزارة المعارف، ومعرض (رابطة الفنانين). وفي عام 1948 أقيم أول معرض للفن التشكيلي في حلب في دار الحمصي بمنطقة العزيزية. قامت بتنظيم المعرض السنوي الأول وزارة المعارف، (حل محلها اليوم وزارتات التربية والتعليم العالي) بالشراكة مع مديرية الآثار والمتاحف. وقد أقيم بمبادرة الدكتور سليم عادل عبد الحق أحد أهم العاملين في مجال الآثار في سورية، وهو يحمل إجازة في تاريخ الفن من فرنسا، ودبلوم في الفن والآثار من معهد اللوفر، وقدم إلى جانب بحوثه في الآثار والمتاحف كتابات عميقة في مجال الفن التشكيلي. منذ أن تم تعيينه مديراً عاماً للآثار ارتبطت باسمه إنجازات كبيرة في المجالات المتعددة للآثار والمتاحف، منها نقل واجهة قصر الجير إلى المتحف الوطني بدمشق، والتي أصبحت فيما بعد مدخل المتحف، واستمر على رأس عمله حتى عام 1966 حين اختارته منظمة (اليونسكو) للإشراف على مشاريعها الأثرية والثقافية.

شارك في المعرض الأول 30 فناناً عرضوا 88 لوحة. ولم يكن هناك أي عمل نحتي. وفي المعرض الثاني عام 1951 كانت هناك 85 لوحة و10 منحوتات، وفي معرض عام 1952 كانت هناك 91 لوحة و12 عملاً نحتيًا. واستمر كلا الرقمين في الصعود حتى بلغ عام 1959: 221 لوحة. و13 عملاً نحتيًا. وقد اعتمدت المعارض الأولى أسلوب الجوائز كتعبير عن دعم الدولة للفن التشكيلي، فقدمت جوائز مالية إلى الفنانين الثلاثة الأوائل في التصوير والنحت، ففي مجال النحت منحت جوائز معرض 1951 إلى كل من: محمود حماد والفرد بخاش وجاهك وردة. وجوائز عام 1952 إلى الفرد بخاش وعدنان الرفاعي وجاهك وردة. وجوائز عام 1953 إلى جاك وردة والفرد بخاش وعدنان رفاعي. وفي عام 1954 لم تمنح أي جائزة لأي من الأعمال العشرة التي شارك بها أربعة عارضين. وفي عام 1955 نال الجوائز الثلاثة: عدنان أنجيلية، وخالد جلال، وهشام المعلم. ونالها في عام 1956 مروان قصاب باشي وخالد جلال وعدنان أنجيلية. في حين لم تمنح الجائزة الأولى عام 1957 لأحد. وذهبت الجائزتان الثانية والثالثة لعدنان أنجيلية وخالد جلال.

عكست جوائز المعرض السنوي في سنواته الثمان الأولى ذلك التمايز في الحضور بين مناصري تيار الواقعية والانطباعية من جهة، وبين تيار الحداثة من جهة ثانية. ففي مجال الرسم (التصوير) مُنحت خمس من جوائز المعرض الأول الست إلى أعمال واقعية وانطباعية (محمود حماد، رشاد قصيباتي، الفرد بخاش، نصير شوري، ميشيل كرشه)، ومنحت الجائزة السادسة للوحة تعبيرية (صبحي شبيب). ومنحت الجوائز الست في المعرض الثاني لأعمال واقعية وانطباعية (ناظم الجعفري، محمود جلال، نصير شوري، رشاد قصيباتي، فاتح المدرس، الفرد بخاش). وفي معرض 1952 مُنحت الجائزة الأولى للوحة (كفر جنة) التي أنجزها (فاتح المدرس) واعتبرها عدد من مؤرخي الفن بداية الحداثة في الفن التشكيلي السوري، في حين ذهبت الجائزتان الثانية والثالثة لعمليتين واقعيين بتأثيرات انطباعية (نصير شوري وناظم الجعفري). أما في المعرض الثالث عام 1953 فقد عادت الأعمال الواقعية والانطباعية لتتأثر الجوائز الثلاث (نصير شوري، محمود حماد، نوبار صباغيان)، وتكرر الأمر ذاته في معرض 1954 فنالت الجوائز أعمال (نصير شوري، البانورة شطي، فريد كردوس)، كما تكررت في معرض 1955 حيث

مُنحت الجوائز لثلاثة أعمال واقعية وانطباعية، وإن كانت كل منها تملك شيئاً من التجديد (هشام زمريق، نصير شوري، إلياس زيات). وفي حين أن معرض 1956 قدم جائزتيه الأولى والثانية لعمليتين من خارج الإطار الواقعي - الانطباعي (برهان كركوتلي، نعيم إسماعيل)، ومنح الثالثة لعمل واقعي (زهير صبان)، فإن معرض عام 1957، وكان آخر معرض تعتمد فيه سياسة الجوائز، قد منح جوائزها الثلاثة لأعمال واقعية بالمطلق (عبد العزيز نشواتي، زهير صبان، إبراهيم هزيمة).

مع زيادة عدد الأعمال الفنية التي تم اقتناؤها من قبل مديرية الآثار العامة، تأسس عام 1953 فرع الفن الحديث في المتحف الوطني، وقد أقيم في الطابق الأول من الجناح الشرقي الذي تم الانتهاء من تشييده ذلك العام. في حين خصص الطابق الثاني للمعارض المؤقتة، الأثرية والفنية. ويحتفظ المتحف اليوم بمجموعة بالغة الأهمية من أعمال التشكيليين السوريين، وخاصة الأجيال الأولى منهم. وحين

## تقسيم فلسطين عداء غربي للعرب ورضوخ لليهودية العالمية

### • د. يوسف جاد الحق

من المعروف تاريخياً أن ساسة أوروبا وقادتها كانوا دوماً على عداء للأمة العربية، منذ الحروب الصليبية (الفرنجة) قبل ألف سنة، وحتى يومنا هذا، لم يتورعوا في يوم من الأيام، عن الكيد لهذه الأمة، ومناصبته الخصومة عن غير حق دائماً. كان يحدث ذلك بالغزو العسكري المباشر حيناً، وحيناً بالتشويه الأثلاثي والافتراء عن طريق الإعلام بوسائله المتعددة القديمة والحديثة على حد سواء.

من ناحية ثانية درج الأوروبيون بريطانيا على الخصوص على الاستهانة بالأمة العربية، بامتهانهم لكرامتها، والاستخفاف بتاريخها ومنجزاتها الحضارية التي نهلت من معينها أوروبا حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم، الأمر الذي يقربه أصحاب الضمائر الحية والوجدان السليم، من بينهم أمثال (زيغريد هوتكة) الألمانية في كتبها، منها (شمس العرب تشرق على الغرب) وغيرها من المنصفين من أعلامهم الدارسين الباحثين، مثل الفيلسوف غوته والكاتب البريطاني برنارد شو.

من هنا كانت فكرة تقسيم فلسطين بين أهلها وشتات اليهود الغرباء واحدة من صور هذا العداء عندما ناصروا الباطل على الحق، فعمدوا إلى تقديمها هدية مجانية لعصابات إسرائيل بذريعة أنها (أرض بلا شعب تمنح لشعب بلا أرض..!) وفق وعد وزير خارجية بريطانيا (آرثر بلفور عميل آل روتشلد لليهود) في حينه، ورفاقه أمثال (سايكس البريطاني) و(بيكو الفرنسي).

ترى هل عمي هؤلاء عن أن هناك في هذه البلاد مدن وقرى عامرة بأهلها، مواردة بالحياة..؟ ماذا عن القدس والخليل وبيت لحم - مهد السيد المسيح عليه السلام - وعن يافا وحيثما ونابلس وطولكرم وغزة والمجدل واللد والرملة وبيننا واسعود.. وعكا - وحصار نابليون لها - وعجزه في النهاية عن اقتحام أسوارها؟ وبالمناسبة كان نابليون أول من طالب بوطن قومي لهم في فلسطين.

بل ماذا عن الحروب الصليبية قبل ألف عام، وحملاتها المتكررة على مدى مائتي سنة؟ هل جاؤوا إلى هذه الديار فوجدوها خاوية على عروشها، خالية من السكان..؟ هل قاتلوا أشباحاً آنذاك..؟ هل كان (ريتشارد قلب الأسد) البريطاني خرافة؟ أم كان صلاح الدين الأيوبي محض خيال..؟

ترى من قاتل الوجود البدائي لليهود في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين منذ أواخر الحرب العالمية الأولى؟ وهل توقفت ثورات (شعب الأرض التي بلا شعب..!) منذ ذلك الزمن حتى عام 1948 في وجه البريطانيين الذين لم ينجوا بأنفسهم مع جنودهم إلا عشية قرر وزير خارجية بريطانيا (آرنست بيغن) إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، والرحيل عنها بعد أن هيات بلاده الظروف لتسليمها للأفريقيين من عصاباتهم في 15 أيار عام 1948، تنفيذاً لما وعدهم به بلفور ومن قبله (ثيودور هرتزل).

سئل موسى دايان ذات مرة بأي حق تأخذون فلسطين من أهلها فأجاب: (إذا لم يكن بالحق التاريخي فبحق "دماء" رجالنا من الأرغون وليحي وشيترن والهاجاناه، ثم جيش الدفاع). إذن كان هناك شعب يقاوم ويستشهد في سبيل وطنه.

ولكن لماذا كان ذلك التوقيت في 29 نوفمبر عام 1947 لتقسيم فلسطين..؟

لأن الغرب، كما أسلفنا، يستهين بالعرب كأمة وجدها مناسبة للتكفير عن ذنبه (المضرب المصطنع) تجاه اليهود عما لحق بهم على أيدي النازيين في ألمانيا وبولونيا وغيرها مما أسموه (الهلوكوست)، فلم يجدوا أسهل عليهم من فلسطين لكي يمنحوا لليهود تعويضاً لهم عن (ضحاياهم) هناك، لا سيما وأن وقت تنفيذ مضماني وعد بلفور لهم (بالوطن القومي اليهودي) قد حان، بعد أن قامت بريطانيا الانتداب (بواجبها) في تهيئة البلاد لذلك حسب نص الوعد إياه القائل (بوضع فلسطين في أوضاع اجتماعية وسياسية توطئة لمنحها وطناً قومياً لليهود). الغريب أن هؤلاء (أدعياء الديمقراطية وحقوق الإنسان و..) إلى آخر ذلك النفاق) تجاهلوا كون الفلسطينيين والعرب ليسوا هم من جنى على اليهود في أوروبا، إنما هم الأوروبيون أنفسهم فما دخل العرب في المسألة..؟

يحدثنا التاريخ بأن اليهود لم يجدوا لهم في الأرض ملاذاً آمناً عند غير العرب، فكان جزأهم أن يؤتى بشتاتهم من كل مكان إلى فلسطين لتؤخذ من أهلها، اغتصاباً بعد تقتيل أهلها وتشريدهم في شتى أرجاء الأرض..!

ذلك الذي حدث لم يكن له سابقة في تاريخ البشرية. كان قمة التآمر والغدر، عاش آثاره وتداعياته الفلسطينيين والعرب على مدى أكثر من قرن كامل حتى يوم الناس هذا وما يزالون. هناك من المؤرخين - الغربيين بالذات - من قال بأن أوروبا إنما أرادت إصابة عدد من العصفير بحجر واحد، فهي (أولاً) تعمل على الخلاص من اليهود هناك، وهي (ثانياً) تضعهم مع العرب في مواجهة لا تنتهي على مدى السنين مع علمهم بأن العرب معتدى عليهم وأن اليهود معتدون. هذا ما حدث، وذروته كانت تقسيم فلسطين، ومنحها لهم في أسوأ ما عرف التاريخ من صور التآمر والغدر، وإيقاع الظلم والأذى بشعب لم يسء في تاريخه كله إلى أحد.. شعب فلسطين - بلد السيد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام - الذي ناصبه اليهود العداء، وأنكروه، وسعوا إلى صلبه، وبرغم ذلك مضى الغربيون أتباعه يناصرون أعداءه ويقدمون بلده إليهم عربوناً لصداقتهم (السياسية) إلا أخلاقية الأثمة.

وأخيراً تقول:

لو كان للغرب نصيب - أي نصيب - فيما يدعيه من حرص على (حقوق الإنسان في الحرية والعدل وحق تقرير المصير) لكان حرياً به اليوم التكفير عن ذنوبه - وهي بحجم الجبال الرواسي - في حق الفلسطينيين، وما أصابهم من أذى وما حل بديارهم من دمار، وبغيرهم من العرب كذلك، في شتى أقطارهم، إرضاءً لعصابات اليهود، أعمدة الإرهاب العالمي..

(الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا)، وفق قول الشاعر البريطاني (كبلنج).

أما الفلسطينيين، ومعهم المخلصون من بني قومهم، فليس أمامهم من سبيل للخلاص ولتحقيق آمالهم في التحرير واستعادة كافة حقوقهم المغتصبة بعد كل ما جرى، سوى طريق واحد، لا طريق سواه، هو مواصلة النضال والمقاومة حتى النصر المبين الذي لا محالة آتٍ وفي زمن أقصر مما يتصورون.

## من كلمة السيد الرئيس بشار الأسد

### • د. علي دياب

كما تعجب سيادته من أن الأمريكيين يصفون عقوباتهم بالذكية والتي تتمثل في حرق المحاصيل ومنع وصولها إلى المواطنين بالإضافة إلى منع الوقود والأدوية وغيرها وما هذا إلا قرصنة وسلوك قطاع الطرق المعروف عبر التاريخ، وقارن بين العقوبات التي يحاولون فيها خنق الشعب السوري وبين خنق جورج فلويد في الولايات المتحدة من قبل شرطة النظام الأميركي لأسباب عنصرية مقبولة؛ فهل هو الذكاء أم الوحشية المفرطة، وتوقف سيادته عند تفاصيل الوضع الاقتصادي وكيف علينا دعم الليرة السورية فوقفنا مع الجيش سبب إنجازاته ووقوفنا مع الليرة ودعمها سيكون سبب قوتها، كما وجه بضرورة إيلاء الاستثمارات الصغيرة الأهمية الكافية ولما تؤمنه من فرص عمل وخاصة في الريف الذي يخفف الضغط على المدينة، كما توقف عند القطاع الزراعي وضرورة دعمه والعناية به فهو عماد الاقتصاد الوطني ونوه إلى أن رأس المال الوطني يجب ألا يكون جباناً مثل رأس المال الأجنبي فيجب أن يمتلك المزيد من الإرادة والجرأة، مركزاً على دعم الاستثمارات الزراعية ودعم تصنيع وتسويق المنتجات الريفية والأسرية، وذلك بسبب تنوعها وتوزعها وتوقف عند الفساد فقال: "هو ثقب الاقتصاد وثقوب الأخلاق وثقوب المجتمع وهو استنزاف للوطن". محاربة الفساد جهد مستمر وإن كان قد تصاعد مؤخراً، وأوضح في أن محاربهته تنطلق من زاوية القانون والأدلة والوثائق وليس من زاوية القيل والقال وبعض الناس المتحمسين يتحدث عن ضرورة تعليق المشاق، ولا بد من إصلاح القوانين، فالقضية هي قضية إصلاح وليس قضية انتقام، فالفساد والقانون لا يمكن أن يلتقيا في مكان واحد فلا بد من ضرب الفساد لكي يسود القانون، ونوه سيادته: سنستمر في استرداد الأموال العامة المنهوبة بالطرق القانونية وعبر المؤسسات دون أي محاباة لأي كان ولأي شخص يظن نفسه فوق القانون، كما أكد سيادته ضرورة الاعتماد على أنفسنا وتحسين أوضاعنا على الرغم من الظروف الصعبة والتحديات التي تواجهنا، وهذه التحديات هي فرص واستغلال هذه الفرص هو الذي يبني الأمم، وزيادة الاعتماد على أنفسنا يمكننا من تحويل المحنة إلى منحة، والعمل لا يكون دون أمل، والمحبط لا يمكن أن يقدم شيئاً، وأنهى سيادته في أن الحرب على سورية، ليست حالة منعزلة، إنما هي جزء من الصراع الدولي الذي يقوده الغرب ولا يمكننا اليوم فصل السياسات الدولية عن الداخلية ولا السياسة عن لقمة الشعب، ولا ذلك كله عن الإرهاب، الذي أصبح سياسة، ومنع الخبز والدواء عن الشعوب أصبح سياسة، وبالاستناد إلى ما ذكر، فنحن وبقية العالم أمام حرب طويلة زمنياً وواسعة جغرافياً، فلا بد من الدفاع عن سورية والاستمرار في محاربة الإرهاب وتحرير الأرض ولا فرق بين إرهابي محلي ومستورد ولا بين إرهابي وجندي محتل، ولا بين صهيوني وتركي وأميركي فكلهم أعداؤنا وكل من يحتل أرضنا عدونا، وسيبقى محور السياسة السورية ضرب الإرهاب وتحرير ما تبقى من الأرض، والجولان باقٍ في قلب كل سوري، وحقنا في عودته دائم ولا يغير من وضعه قرار كيان غير شرعي ولا نظام أميركي لا أخلاقي، وستبقى القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة العربية وأبنائها إخوة لنا ولن يغير موقفنا سلوك بعض من خان العهد، ولم يكن ذلك بسبب انتماؤه لفلسطين وإنما بسبب عدم انتماؤه لها ولا فرق بينه وبين أي سوري أو عربي أو أجنبي ارتكب فعل الغدر والخيانة وقال سيادته: إن هذه الحرب أثبتت صحة مواقفنا من القضايا الأساسية فزادت ثباتاً بدلاً من تغييرها، أما الأعداء فإسرائيل هي العدو الأساس وهي أصل الإرهاب ومنشؤه، وختم سيادته أن شعبنا أرسل رسالة واضحة عبر مشاركته وإنجاز الاستحقاق الدستوري التشريعي، أن السيادة غير قابلة للمساومة، وأن إرادته لا تصادر وحقه لا يباع.

في أول لقاء للسيد الرئيس بشار الأسد مع أعضاء الدور التشريعي الثالث لمجلس الشعب، وجه كلمة جامعة شاملة، توقف في بدايتها عند السنوات العشر من الحرب الظالمة على قطرنا العربي السوري، وأشار إلى تصميم الشعب العربي السوري على مضيئه والتزامه بالاستحقاقات الدستورية وفي مواعيدها ومشاركته في هذا الاستحقاق هو دفاع عن دستور البلاد، ورد على أولئك الذين يعملون على تمرير دستور يؤدي لإسقاط الوطن والغاء السيادة وضرب المؤسسات وفي الوقت نفسه يعد هذا الاستحقاق وفاءً لدماء الشهداء الزكية وأرواحهم الطاهرة، التي بذلت فداءً للوطن والسيادة، وأشاد بهذه الانتخابات التشريعية وما شهدته من مشاركة ملفزة للنظر ومناقسة حقيقية بين المرشحين، وأكد سيادته أن هذه المنافسة هي حراك وطني إيجابي يعبر عن التزام وطني، وفي الوقت نفسه نوه إلى ما احتوته هذه الانتخابات من سلبيات، من تدخلات ومال سياسي وغيره، فتبقى هذه الانتخابات إيجابية، إذ تجعلنا نرى مشاكلنا وسلبياتنا على الواقع بشكل حقيقي وصحيح، وهذا ما يربط علينا مناقشة ذلك كله والبدء بحوارات تستمر إلى ما بعد الانتخابات، ويجب أن لا تتوقف حتى يتم تقديم التجربة كاملة ووضع الحلول اللازمة لتطوير هذه التجربة مستقبلاً، وخطب سيادته أعضاء المجلس ودورهم في وضع الخطط التي تنطلق من الرؤى الاستراتيجية وما تشكله من جسرهم بين المواطن والسلطة التنفيذية، وتوقف سيادته عند الحرب على سورية وأنها تفرض استهلاك الطاقات كلها لصالحها، إلا أن قوة الشعب وقدرته على التأقلم مع الظروف وتطويعها لصالحه وليس بالاستسلام لها، كما حث أعضاء المجلس على فهم مشكلات المواطن ومعاناته وهو جسد وطموحاته وبالتالي: نقوم بشرح السياسات والقوانين التي تعمل عليها وبكل شفافية وأن نضع المواطن بالصورة الصحيحة لما يعاينه الوطن، والظروف التي يمر بها، وبين سيادته أن شعبنا قد أظهر خلال سنوات الحرب وعياً تاماً وواجه آلات إعلامية جبارة، تمكن من إسقاطها المرة تلو الأخرى، إلا أن هذا الإعلام المعادي يكرر محاولاته، الواحدة تلو الأخرى، للنيل من شعبنا وتحقيق أهدافه، ونوه إلى بعض أبناء مجتمعنا الذين يصابون بتشوش الرؤية واليأس والانهزامية، وهم لا يشكلون أكثرية ولكنهم مؤثرون من خلال تعميم مزاجهم السلبي على الآخرين.

وقال سيادته: "لا أعتقد أن هناك شخصاً يملك الحد الأدنى من الوطنية، يقبل بالطرورات الانهزامية اليوم بعد كل تلك التضحيات وأشار إلى أننا في وقت نحتاج لكل ذرة طاقة إيجابية في مواجهة مع أعدائنا، نحتاج الأمل بدل اليأس، نحتاج القوة بدلاً من الضعف، ورد على الذين يطالبون أنهم يرغبون في العيش ليبروا انهزاميتهم وكان المقاتلين لا يرغبون بالعيش، الشرفاء الذين يدافعون عن وطنهم ليعيشوا بعزة وكرامة وضرب أمثلة عدة عن صمود الشجعان من قوات جيشنا العربي السوري الباسلة في مطار الثعلة ووادي الصيف وسجن حلب وفي كل مكان على امتداد مساحة قطرنا، وكذلك صمود الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي والمحرم البطل صدقي المقت الذي رفض الإذعان لشروط المحتل، كما توقف سيادته عند قانون قيصر، الذي جاء متمماً للحصار الاقتصادي بل للحرب الاقتصادية إذ حاولوا بث الذعر في صفوف الناس من خلال هذا القانون وبالمحصلة فهو جزء من كل، هذا الإرهاب الاقتصادي، وطالب المواطنين في ألا ننفي أضراره وألا نبالغ بتضخمه وأن نعمل على تحجيمه ومواجهته، لأن عدونا دائماً يبني خطئه على تراكم الخطوات والأحداث، كما أشار سيادته إلى أنه كلما فشل الإرهابيون في مهامهم كان هناك تصعيد من قبل أعداء الوطن في عدوانهم الاقتصادي، على غرار قانون قيصر وعدوانهم العسكري، فما تزامن العدوان الإسرائيلي في دير الزور والبيادية إلا لدعم وتشجيع الإرهابيين من داعش وغيرها وتسهيل حركتهم، فهم الأقرب إلى قلب الأميركي والإسرائيلي.

## عروبة ولكن؟

د. سليم بركات

والإيمان الوطني القومي العميق، وهل نجانب الصواب إذا قلنا أن في كل أمة من أمم الأرض، وفي كل دور من أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب في نفوسهم الأناثية، لكن الرأي العام من جهة، والقوانين الموضوعية من جهة أخرى تعاقب هؤلاء وتعزلهم، وتجعلهم عبرة للأخرين، وهل نجانب الصواب أيضاً إذا قلنا إن ما يحدث في الأمة العربية اليوم من شقاق وتخاصم، قد حدث في كل أمة من أمم العالم عبر التاريخ. كل ذلك وغيره يستوجب الاعتراف بأن طبائع الأمم لا تبقى على وتيرة واحدة عبر العصور، فلا الماضي يقيد الحاضر، ولا مستقبل دون الاحاطة بالواقع، وحتى يتعرف العرب على مستقبلهم ويستفيدوا من ماضيهم، لا بد لهم من الاحاطة بواقعهم، ومهما كانت مصاعب هذه الاحاطة، فهي لا تمنع اتحادهم في مواجهة من يهدد وجودهم.

لا ريب في أن الواقع العربي الراهن سيء للغاية، وأن النكبات التي منيت بها الأمة العربية في منتهى الضاعمة، ولما كانت الأخطار التي تهدد المستقبل العربي محدقة به، فعلى كل عربي أن يعلم غلم اليقين أن أسباب ذلك لا تعود إلى طبائع العرب، ولا إلى ماضيهم البعيد، بل تعود إلى أخطاء اليوم، وأهم هذه الأخطاء هو عدم وعيهم لذاتهم، وبعدهم عن تفهم وتمثل روح العصر الذي يعيشون فيه، وكذلك تقصيرهم عن التسلح بسلح العلم، وربما كان هنالك من الأسباب ما هو أبعد أثراً وأشد خطراً، وهو ضعف الإيمان الوطني القومي، وعدم الاقدام على معالجة القضايا العربية بعزم، وحزم، وإيمان عميق، يستوجب من كل عربي أن يدرك أن ما من أمة وصلت إلى الكمال الذي تنشده، إلا بعد أن اجتازت العقبات وذاقت مرارة الفشل.

بقي أن نقول إن الإيمان العميق بالعروبة، وبامكانات الأمة العربية، هو الأمل المتبقي، وأن العمل الحازم المتواصل لتحقيق أهدافها، سيبقى السبيل لخروجها من هذا الواقع المير، وأقل ما يترتب على الإنسان العربي من واجب تجاه عروبيته، أن يستخرج الترياق من قلب السم، نقول هذا ومعالم الخور والقنوط يادية على الوجوه، وهمسات الشك منتشرة في كل الساحات العربية، بسبب هول النكبات، وشدة الخلافات، وكثرة الأخطار التي تهدد الوجود العربي، نقول هذا ونحن نعلم علم اليقين إن عظام الأمور لا تصل إلى حدودها القصوى إلا عندما تنهار القيم، ويصبح الفشل مرهون بالتقاعس عن مواصلة الكفاح والنضال والمقاومة.

في أوروبا في القرون الوسطى، وفي عصر النهضة الأوروبية مقارنة بما حدث ويحدث عندنا، لنجد أن ما يحدث عندنا لم يكن أكثر تنوعاً، ولا أكثر عمقاً مما حدث عند غيرنا، نستعرض الخلافات المذهبية التي حدثت في أوروبا بين الكنائس المختلفة، نستقصي أخبار الحروب الأهلية والدولية التي نجمت عن الاختلافات المذهبية في مختلف بلدان العالم، لنقلب صفحات التاريخ التي سجلت أعمال محاكم التفتيش من جهة، وحياة مؤسسي المذاهب الدينية من جهة أخرى، لنجد أن الاختلافات في هذه البلدان كانت أوسع نطاقاً، وأكثر شمولية، من التي حدثت وتحدثت في الوطن العربي.

حتى نكتشف ذاتنا ونثبت هذه الذات وعياً وحضارة، علينا أن نتصور الاتساع الهائل الذي وصلت إليه الامبراطورية العربية في أوائل القرن الثامن للميلاد مقارنة بالامبراطوريات الأخرى، امبراطورية امتدت حدودها من سواحل المحيط الأطلسي إلى شواطئ نهر السين، وسهول كشمير، ومن سفوح هماليا إلى جبال البرنس والألب، ومن باب المنذب إلى جبال القفاز، ولنتذكر كيف كانت تدار هذه الامبراطورية بالقيم الأخلاقية العربية، وببساطة وسائط المناقلة والمواصل، وكيف بقيت سلطتها المترامية الأطراف مصنونة من مغبة الانقسام مدة طويلة من الزمن، بالرغم من طول المسافات التي تفصل ثغورها عن عاصمتها العربية، وبالرغم من ضآلة الوسائط التي كانت تضمن اتصال العاصمة بتلك الثغور. إننا لا نبالغ إذا قلنا إن رؤيتنا للتاريخ العربي تختلف عن رؤيتنا لتواريخ الأمم الأخرى، كيف لا ونحن ننظر إلى تواريخ الأمم الأخرى عن بعد دون تعمق في تفاصيلها الفرعية، وننظر إلى تاريخ أمتنا العربية عن قرب نظرة تفصيلية دون أن نحيط علماً بخطوطها الاستراتيجية، كيف لا و موقفنا تجاه تاريخ العالم كموقف رجل ينظر إلى جبل من سهل بعيد فيبدو له عاليًا شامخًا، بينما موقفنا من تاريخنا كموقف رجل يسير في قلب جبل، ويتغلغل في وهاده، ولما كانت الحال تتألف من وهاد ووديان ومرتفعات ومنخفضات وهضاب، ومنحدرات، فلا تبدو عالية شامخة، إلا لمن ينظر إليها من سهل بعيد. كما لا نبالغ أيضاً إذا قلنا إن تواريخ الدول الأوروبية تبدو لنا جبالاً شامخة مرتفعة لأننا ننظر إليها بنظر المؤلّذين الأوروبيين ومن الخارج وعن بعد، وننظر إلى تاريخ الدولة العربية على أنه مجموعة مرتفعات ومنخفضات مشوشة ومعقدة، وذلك لأننا ننظر له بنظر الإخباريين القدماء ومن داخله.

لنعود بعد هذه النظريات الانتقادية إلى السؤال الذي طرحناه وهو، هل الشقاق والتخاصم طبع في العرب؟ لنجد أن الشقاق وليد الأناثية، والأناثية طبع غريزي في الإنسان، لا يكبح جماحه سوى التربية الاجتماعية الأخلاقية المتينة، والتشكيلات الحكومية القوية، والنزعة الفكرية النقدية الفعالة،

لا أعرف كلمة تدخر من السحر كما تدخر كلمة عروبة، فلا تنطلق من لسان إلا وتطلق معها الأنظار صوراً وأشباحاً لا تخضع لقانون، أو سنة، ولأن الخيال مصدرها ومطبتها، وكأنها سراب في صحراء فلا الواقع ولا الخيال يستطيع أن يبطل سحر هذه الكلمة، أو يحل محل حقيقة تقول إن العروبة مروّدة، وإن عرب اليوم يقدر عددهم بأربعمئة مليون تجمعهم خصائص الجنس العربي ومزايه في جامعة العروبة، بخصائص تميزهم عن غيرهم من الشعوب الأخرى من حيث الجغرافيا، واللغة، والتاريخ، والثقافة... وتحدث عنها شعوب الأرض، أكان هذا الحديث عن ماضٍ مضع بالماثر، أم كان عن حاضر ينوء بالماثي، أم كان عن مستقبل يليق بها بين الأمم، ولا نجانب الصواب إذا قلنا إن عرب اليوم في فترة من أخرج الفترات، لا بد من تداركها قبل فوات الأوان، ليس لأنهم في حرب ضروس ليست من صنعهم وإنما صنعت لهم، بل لأنهم في حرب ضروس لا ترحم، ولا يستطيعون أن يجدوا أنفسهم فيها ما لم يرتقوا بعبء المسؤولية الوطنية القومية الأخلاقية إلى المكانة الوحودية التي تمكنهم من اثبات ذاتهم في مواجهة أعدائهم ممن يشنون عليهم هذه الحرب، ولن يرتقوا إلا إذا كانوا أحراراً، لأن المسؤولية تلازم الحرية وتسقط بسقوطها. ويخطيء من يقول إن الحرية واحدة بل هي حريات، إنها بعدد العبوديات التي يشد نيرها الأعناق، وهل هنالك عبوديات أشد خبثاً من تبليل الألسنة، وانتشار الفوضى، وتضارب الآراء، وتفشي الرشوة، واختلاس الأموال، وفساد الحياة، وتسلب الأمية، وعدم المبالاة، وتغلغل التعصب، وانعدام الوعي الوطني القومي... وبالتالي هل للحرية من معنى إلا بإثبات الذات وتحرير الأرض والإنسان.

السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الخضم هو، هل الشقاق والتخاصم الممارس اليوم في الواقع العربي هو من طبع العرب؟ وبالتالي هل الخلاف لا الاختلاف من خصائصهم؟. كلنا يعرف إن الآراء الشائعة اليوم لا تدع مجالاً للتفكير ملياً في مثل هذا السؤال، لأن الأذهان محملة على الرد الفوري بالإيجاب، حتى ولو كان أصحاب هذه الآراء يشذون بأرائهم عن تاريخ أمتهم، وعن تواريخ الأمم الأخرى شذوذاً كبيراً، ونحن لا نبالغ إذا قلنا إن مثل هذه الآراء الشائعة لا تتفق مع الحقائق العربية التاريخية الثابتة لأنها تقوم على استقراء ناقص لأسباب يأتي في طبيعتها أننا نعيش أحوال التواريخ الماضية بمقاييس الأزمنة الحاضرة، دون أن نكلف أنفسنا عناء البحث كيف كانت الأحوال في الماضي وكيف أصبحت اليوم، كي نحرر أذهاننا من هيمنة الآراء الشائعة، ونحن ندرس القضايا العربية بواقعية من خلال نظرة علمية تستقريء الحوادث التاريخية استقراءً تاماً.

لنبدأ بظواهر التمدن السائدة في التاريخ العربي ومنه الحديث والمعاصر، ولنستعرض ما حدث

## تعزية

فجع الزميل حسين جمعة برحيل ابن عمه محمد جمعة في الأسبوع الماضي. رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي والمجلس والاتحاد يتقدمون إليه بخالص العزاء والمواساة.. راجين الله عز وجل أن يتعمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه الجنة، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

## سلامات

أجرى الزميل الدكتور نزار بريك هنيدي عملية جراحية في عينه وتكللت بالنجاح.

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة الأسبوع الأدبي يتمنون له الشفاء العاجل ليعود إلى مزاولة عمله في خدمة الأدب.. وسلامات.

• د. حسن حميد

## البؤساء

٢.

كنت أود مواصلة الحديث عن رواية / البؤساء / التي فرحت بترجمتها كاملة من قبل المترجم زياد العودة، والصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب، ولكنني أود التلث قليلاً عند التعريف بالكاتب فيكتور هيغو

يعجب قارئ سيرة الأديب والشاعر الفرنسي الشهير فيكتور هيغو، من كثرة التحولات التي عصفت بحياته وأدبه وفكره وعلاقاته وأمكنته وطموحاته أيضاً، فهو وإن كان ينتسب إلى أسرة فرنسية نبيلة، لم يتلق التعليم الذي عرفته الأسرة الفرنسية النبيلة، مع أن والده قائد كبير من قواد جيش نابليون بونابرت، وذلك لكثرة تنقل أسرته، تبعاً لتنقلات والده الضابط الذي عرف الخدمة العسكرية في العديد من المدن الفرنسية، والأوروبية في آن، ولأن ثقافته المدرسية كانت متقطعة وغير منتظمة، فإنه عوض كل ما فاتته من خلال مطالعته الخاصة، والحاحه الدائم على والديه من أجل اقتناء الكتب التي سمع عنها من مدرسيه أو أصدقائه، والكتب التي أحب قراءتها لأنها تنمي رغبته في زيادة ولعه بالشعر والقصة الفنون الأدبيين اللذين شغف بهما، وكذلك معاجم اللغات التي أحب الاطلاع عليها وتعلمها كالإنكليزية، والألمانية، والروسية، والإيطالية.

تلك الحياة التي عاشها هيغو في طفولته وشبابه لم تكن لتتناسب مع ما سيصير إليه من مكانة وشهرة في مجال الأدب من جهة، وما ستقضي إليه هذه الحياة من مواقف ومفارقات أغضبت والديه، والسلطات السياسية في آن من جهة ثانية، فثقافته التي أخذت من كل علم القليل، ومن كل معرفة جانباً لم تكن لترشحه ليصبح أديب فرنسا الكبير، والاسم الأدبي العالمي الصيت في شعره ورواياته، ومسرحياته، حتى إن بعض أساتذته أعربوا عن سوء الحظ الذي واجهه فيكتور الذي لم تمكنه ظروفه من الانضباط في التعليم المدرسي، وإن الملخصات المجزوءة عن كل مادة دراسية لن تسهم في تثقيفه الثقافة المرجوة، ولكن أمه دافعت عن ثقافة ابنها، وهي التي كانت ترى ما يبذله من جهود كبيرة من أجل توسيع معارفه، بقولها: إن فيكتور يعرف القيم عن كل علم من علوم المدرسة، وإن ثقافته الأدبية تدهشها، وإن ما يكتبه فيكتور من نصوص يشكل لها، بين حين وآخر، مفاجأة لم تكن لتتوقعها، وهو لم يزل في الصفوف الأولى من المدرسة المتوسطة. والحق أن هذا صحيح، فلقد كتب هيغو نصوصاً شعرية، قرظها معلموه، وكتب نصوصاً مسرحية تبنتها مدرسته، فمثلاً رفاقه، وبعض المعلمين، ولذلك لقب بـ (التلميذ الأسمى). فتفتحت الموهبة الأدبية التي دعاها هيغو في نفسه في المدارس الكثيرة التي عرفها، وبتشجيع من أساتذته، وقد ظن معلموه أن هذه الموهبة المشرقة ستقود إلى دراسة الآداب في الجامعة، لكي تستوي تألقها، غير أن ظنهم هذا ظل ظناً، لأن هيغو لم يتابع دراسته الجامعية في أي شأن معي، ولم يسع إلى تحقيق حلم والده الضابط في أن يختار ولده طريقه ليواصل تقاليد أسرة هيغو في حب العسكرية والفروسية، والخدمة تحت لواء الإمبراطور.

لقد خيب كل الآمال حين وقع في غرام جميلة من جميلات باريس اسمها (أديل) وهو في السابعة عشرة من عمره، بينما (أديل) لم تبلغ سوى الخامسة عشرة من عمرها، لكن الاثنين، وبعد عامين من الغرام العاصف، تزوجا ضمن حفل بهيج حضرته الأسرتان، والغريب أن والديه شجعاه على مثل هذا الزواج لعل زواجه يبعث الدفاء في أواصر الأسرة التي كانت تعاني من أمور كثيرة لعل في طالعها الخصومات المتكررة ما بين والديه، وسببها الغيرة القاتلة، فقد كان والده محاطاً بنساء كثيرات، وكانت أمه محاطة برجال كثر أيضاً، والانتقادات المتبادلة تطيح بالأبناء إلى جانب الأم مرة، وإلى الأب مرة أخرى، لا بل إن الغيرة نشبت بين الأبناء أيضاً، فقد هم الأخ الأكبر لفكتور واسمه أوجين أن يضربه بفأس حادة في ليلة زفافه لأن أوجين كان مغرماً بعشيقة أخيه فيكتور (أديل) وقد وفر هذا الزواج المبكر لفكتور حياة هادئة، ونشاطاً ملحوظاً.

ولد فيكتور هيغو سنة 1802، في أسرة ثرية لضابط فرنسي عرف بمحبته وإخلاصه للإمبراطور نابليون، وقد شابته حياة التنقل ظروف الأسرة، فعانى أطفالها، ومنهم فيكتور حالات غربة، وصعوبة في إقامة العلاقات مع الأطفال الآخرين في المجتمع والمدرسة، كما عانى أفراد الأسرة من تربية مشوشة داخل البيت بسبب كثرة الزوار، وغالبيتهم من الرجال والنساء. أحب فيكتور هيغو في بداية حياته، حياة أبيه العسكرية، فكان الوالد إنموذجاً للفارس الفرنسي الذي تتحدث عنه الكتب المدرسية، كما أحب الإمبراطور، وافتخر أمام أترابه بأنه من طبقة النبلاء، لكن هيغو انقلب على هذا كله، حين أصبح في عمر الشباب، فقد كره الحياة العسكرية، كما كره ممارسات الإمبراطور، بعدما كان يتوق إلى رؤية المشاهد العسكرية، وقدم الإمبراطور الذي كان يتحرك صامتاً وكأنه فارس من البرونز.

## بين القسام والمطران كبتوشي

• محمد مخلص حمشو



يكن مؤمناً بحق لن يكون مخلصاً إلى درجة التضاني من أجل العدل في وطنه والكرامة لأمته، ومن لم يكن وطنياً حقيقياً لا يستطيع أن يجسد إيمانه بالله وبالكتب والرسائل نضالاً وجهاداً واستشهاداً. وكما أسلفنا لقد جاء المطران كبتوشي كما الشيخ القسام من سوريا بلد العروبة ومهد البطولة، ليحط رحالهما في فلسطين، وبعد أن اختار كل منهما نهج المقاومة على طريق الثوار الأحرار دربا للتحرير واسلوباً للتعبير عن حبهما لفلسطين والقدس قلبها النابض، وإدراكاً منها لأهمية الواجب الديني والقومي والوطني في محاربة الصهيونية في فلسطين فكرة ومشروعاً وكياناً كأخطر إفرازات المشروع الغربي الاستعماري ضد الأمة، فكانت لهما فلسطين هي القضية والقدس هي البوصلة والمقاومة هي النهج. لقد كانت سوريا وفلسطين والمقاومة هي كلمات السر التي جمعت بين المطران المقاوم والشيخ المجاهد عز الدين القسام الذي جاء من الساحل السوري إلى ساحل فلسطين أماماً لمسجد وليستشهد مجاهداً في أحراش يعبد عام 1929 وبين المطران المناضل هيلاريون كبتوشي الذي جاء من الداخل السوري (حلب) إلى القدس مطراناً ليسجن على يد الصهاينة ثم ليرحل منفياً إلى الفاتيكان حيث قضى هناك. انها سميونية حياة وحكاية طويلة لكل منهما ملاحا شعب سوريا اسطورة وقصص نضال تحكى للأجيال القادمة حيث اللافت منها أن المطران كبتوشي وهو رجل دين مسيحي اعطى فيها لنضاله بعداً مميزاً، أبرز فيه البعد المسيحي في الصراع مع الكيان الصهيوني وقدم تفسيراً كيف يتهدد الوجود المسيحي في الأرض المقدسة كمكون أساسي للشعب الفلسطيني، مما يتطلب الوعي لهذه المؤامرة وبذل الجهد لإيقافها حفاظاً على هوية فلسطين العربية ببعديها الإسلامي والمسيحي كما دافع أنه أيضاً كان المدافع العنيد عن الإسلام والمسلمين بأنهم ليسوا اراهابيين امام المحافل الدولية.

وأخيراً تروي لنا العلاقة بين الشيخ والمطران رحمهما الله أيضاً حكاية الوحدة الوطنية في سوريا وفلسطين وكل اقطارنا العربية، بل حكاية الوحدة القومية على مستوى الأمة، تلك الوحدة والتي ببعديها الوطني والقومي كانت سوريا احد أهم قلاعها، وهي التي يجري استهدافها اليوم... الشيخ القسام والمطران كبتوشي لن تغادر صورة كل منهما وسيرته وجدان امته وضميرها وتراثها وسيرة نضالها الطويل على طريق تحرير القدس وفلسطين.... رحمهما الله وطيب ثراهما..

بعد أن رحل رمضان وانتهى المسلسل التلفزيوني "حارس القدس" الذي أمتعنا في حكاياته عن سيرة المناضل المقاوم المطران كبتوشي. ويحضر بالمناسبة الى الذاكرة سيره الشيخ المجاهد المقاوم عز الدين القسام وأوجه الشبه بينه وبين المطران كبتوشي بل أن هناك علاقة وطيدة بينهما فالانثان يشكلان قواسم مشتركة ونماذج فريدة بتاريخ الثورة الفلسطينية المعاصرة فهما رموز كبيره من رموز الأمة التي صانت المبادئ والقيم الكبرى في النضال الوطني وفي أصعب الظروف حتى باتت صورهما ايقونة في كل بيت فلسطيني وعربي وعلى صدر كل مناضل. فمدرسة القائد العالم المجاهد الإسلامي الشيخ الكبير مضجر الثورة عز الدين القسام "وهو من جبلة السورية" الذي قدم حياته من أجل فلسطين وعروبيتها. ومدرسة المطران العروبي هيلاريون كبتوشي "الحلي السوري" الذي قدم وهب مكانته الدينية خدمة للثورة الفلسطينية وبكل ما امتلك من فهم وبما مثلته القدس له من رمزية، وأياً إلا أن يكون على مستوى صليب الألام، فاختر طريق المقاومة للتعبير عن إيمانه، وترك هذه البصمة في سجل فلسطين مبرهن أن قضية فلسطين قضية حق وعدل وشعب وستبقى عربية عربية عربية.

عز الدين القسام والمطران هيلاريون كبتوشي كانا رجلي مبادئ وحصناً للمسيحية والإسلام والعروبة، وروحهما ستظل خالدة فما هما إلا شاهدان نبراسان في سجل التاريخ الفلسطيني للمحمي... فالأول الشيخ القسام نموذج إسلامي سوري مقاوم والثاني نموذج مسيحي سوري مقاوم أيضاً وإن الجامع بين النموذجين هو البندقية ومقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين والنموذج الأول الشيخ القسام أصبح مدرسة للمقاومة الفلسطينية المسلحة بكافة أطرها وتنظيماتها السياسية. والنموذج الثاني "المطران كبتوشي" والذي يقتخر به الشعب الفلسطيني لدوره الوطني المقاوم وإيمانه بعدالة قضية الشعب الفلسطيني.

لم يكن الشيخ السوري عز الدين القسام وحده من خرج خارج جدران مسجده لمقارعة المحتل بل كان مطران حلب المناضل هيلاريون كبتوشي قد خرج أيضاً خارج جدران كنيسه وليلتحق بالثورة الفلسطينية مناضلاً في سبيل حرية الشعب الفلسطيني، عندما شاهد ظلم الاحتلال وطيغانه لم يستطع السكوت على ذلك. هذان الرمزان الخالدان في تاريخ الثورة الفلسطينية وفي اطار هذه اللوحة المشرقة والصورة الإيجابية التي عكسها رجال الدين المسلمين والمسيحيين وهم يؤدون دور رجال الدين في خدمة شعبهم ووطنهم هذه العلاقة بين الكبيرين الشهيد القسام والراحل كبوجي، هي رمز للعلاقة بين الدين والوطن، وبين الايمان الديني والالتقاء الوطني والقومي، فمن لم

# عندما التقت الثقافة بالمنظومات

• د. معن النقري

أتابع معالجاتي قضايا الثقافة استجابة لطروحات جادة متشعبة نشأت أساساً في جمعية البحوث والدراسات (اتحاد الكتاب) منذ العام الماضي مع ملاحظتي علائم التحديد في التحرير أيضاً.

وسأهتم هنا والآن بمسألة منظوميات الثقافة وثقافيات المنظومات ونقاط وآفاق تلاقيهما مع التركيز على لحظات النشوء والتماس الانطلاقية الأولى.

المنظومة في الإنكليزية سيستيم - system، وفي الروسية سيستيم - cuctema، ومثل ذلك في أكثر أو كل لغات أوروبا رجوعاً إلى كلمة سيستيم systema الإغريقية كمرجعية عالمية مشتركة على مدى مئات وفيرة من السنين؛ ولتات مقابلة من السنين كان المعادل العربي هو كلمة نظام أصلاً، ولم توجد خلالها كلمة منظومة التي نشأت (أنشئت بصورة أدق) في العقود الأخيرة فقط، وتشهد على ذلك سائر ترجمات العربية عن لغات أوروبية أجنبية حتى عهد قريب، حيث لا تجد إلا كلمة نظام أو نسق في قواميسنا، وهذا ما وجدته ولاحظته في الترجمة عن الإنكليزية منذ عقود وعن الروسية حتى بدايات الثمانينيات وخلالها أيضاً، ولا وجود لكلمة منظومة في هذه الترجمات؛ وحسب علمي فقد كنت موقناً بابتكار مصطلح جديد - المنظومة - حين استخدمته وأنشأته تأسياً عام 1976 في دراستي اللسانية - «حول مشكلات العربية واللسانيات» (هكذا تقريباً) والتي قرأها كثيرون من العرب والروس من معهد الاستشراق في موسكو حينها وشاعت، ولفت انتباهي بخاصة استخدام د. توفيق إبراهيم سلوم لمصطلح «منظومة» مقابل سيستيم في ترجمته لقاموس بالروسية - «المعجم الفلسفي المختصر» / دار التقدم، موسكو، 1986؛ بل واستخدم مصطلحاً آخر تفرّدت في استخدامه قبلاً بعد ابتكاره، هو المشكلات «الكوكبية» global في هذا المعجم ذاته أيضاً، وما ذلك إلا لأنه طلب مني كتابة موضوع كبير منذ عام 1982 قادني إلى كتابة بروشور / كتيب من عشرات الصفحات الوفيرة حينها بالعربية مباشرة، وفيه طيف واسع من مصطلحاتي على سائر المساحة المكتوبة، ومنها ضمناً: المنظومة والمشكلات الكوكبية، ولم أجد المنظومة في معاجم وقواميس أخرى من تلك الفترة، ولا الكوكبية، فالاستثناء هنا مفهوم.

إن النظام - سيستيم - سيستيم... مفردات ومصطلحات عتيقة عريقة عربية وأجنبية لمئات السنين لكن الدراسات والبحوث المنظومية حديثة تماماً، ولم تكتمل وتنضج نسبياً ككيان معتبر قبل منتصف القرن العشرين، ولا سيما مع بيرتا لانفي في «النظرية العامة للمنظومات» لمعرفة سبب ابتكارنا مصطلح منظومة عربياً راجع مقالنا: من تجربتنا مع الثقافة - 2 - الأسبوع الأدبي، ع1671، في 2020/1/12، ص12، ثم تكاثرت الدراسات المنظومية لاحقاً والمنهجيات المنظومية العديدة: النهج المنظومي أو الطريقة المنظومية، والمقاربة المنظومية، والتحليل المنظومي (تحليل النظم)... الخ.

وتشير المعطيات إلى تبلور ونضوج - بل وحتى نشوء - التحليل المنظومي في الستينيات؛ وفي كتابنا الوحيد المتخصص بذلك حتى الآن أوضحنا الانطلاقة المؤسسية المنظومية فقط منذ السبعينيات «المنظومات وعلومها...» دمشق، 2004، وثمة عرض منشور لأولى الجهات الدولية الأكاديمية المنظومية في النمسا وفي موسكو؛ 1972 ثم 1976 - على التوالي. وأعني بذلك؛ معهد التحليل المنظومي / إيسا (أو؛ المعهد الدولي للتحليل المنظومي التطبيقي / إينياسا تفصيلاً) 1972، في لاكسينبورغ قرب فيينا؛ والمعهد البحثي العلمي عموم السوفييتي للدراسات المنظومية / فنينيسي في موسكو 1976.

وواضح تماماً أن المنهجيات والمؤسسات المذكورة هي الأقدم والأعرق عالمياً في حقل المنظومات وهي الأصل والأساس أيضاً، وتهتم بأهم مشكلات العالم والمستقبل وأكثرها حضوراً وتأثيراً وراهنية، لكن الثقافة، كما علمنا قبلاً، بقيت مهمشة

إلى حد كبير نسبياً فيها وفي غيرها؛ أعني من حيث لقاءات الثقافة بالمنظومات، فالعاجم والقواميس الفلسفية مثلاً دأبت على تهميش الثقافة والمنظومة معزولتين وفردى؛ جيد، ولكن مادة منظومة تضمنت ما شئت من صور وأشكال المنظومات عدا الثقافة، وهذا ما رصدته وأثبتته حتى نهايات الثمانينيات على الأقل، فلا أثر للمنظومات الثقافية - على الرغم من وفرة غيرها الكثير ضمن مادة منظومة في أي معجم أو قاموس، ومنها؛ م. ف. المختصر المذكور 1986 بالعربية، ومعجم / قاموس فرولوف بالروسية 1986 وما قبل ذلك ضمناً؛ وآخر أكثر تخصصاً وقرباً من المنظومات بالروسية في موسكو لعام 1987 بتحرير جماعي كبير وبصياغة غوروخوف، وخاليبوف؛ كما أن الكتاب التدريسي الجامعي الذي تكرم بأريحية ولأول مرة سوفيتياً - روسيا برعاية الثقافة في مقرر واسع الانتشار والاستخدام من تأليف سبيركين لعام 1988؛ «أسس الفلسفة»؛ «فلسفة الثقافة» ص551 - 568 وكنت أشرت إليه من قبل - هذا الكتاب لم يدمج أو يعقل الثقافة بالمنظومات على أهمية وضرورات ذلك نظرياً ومنهجياً وتطبيقياً. بل إن سلسلة حولية / سنوية متخصصة بالدراسات المنظومية بعددها لهذا التاريخ تقريباً - «دراسات منظومية: مشكلات منهجية» / حولية 1987 - والتي احتوت أكثر من عشرين / 20 دراسة منظومية متخصصة في حقول عديدة وكثيرة تجاهلت منظوميات الثقافة تماماً.

وهكذا تجد أن المتاح العام لا يطمئن ولا يوحي بأي لقاءات كهذه حتى فترة متأخرة من القرن العشرين، ولن يطمئنك أو يعيد إليك الثقة ويزيل شكوكك العادلة المبررة غير الأيدي الخبيرة الوالجة في عمق المسألة، وهذا ما سافعله الآن، اعتماداً على إصدارات ومرجعيات «فنينيسي» إياه في موسكو بالروسية بعد إنشائه بسنوات وهنا بعض التفاصيل من إصدارات يعز تحصيلها، أو حتى العلم بها - بله اقتناؤها، وهي عندي مذ ذاك - وبالروسية:

1 - فنينيسي؛ مجموعة أعمال، الإصدار السادس لعام 1979 / 6/1979، بمحور: «الجوانب السوسولوجية للنمذجة الكوكبية»، ومن بين دراسات عديدة هنا ثمة دراسة واحدة كتبها كوزجيفا بعنوان: «مهمات ومعايير دراسة مشكلات الثقافة»، (ص62 - 69) وهي بموشور منظومي طبعاً في دورية متخصصة بذلك؛

2 - فنينيسي؛ مواد لقاء موسكو لخبراء مشروع اليونسكو لعام 1979، موسكو بمحور: «الدراسات العلمية والحاجات البشرية»، ومن بين 17 دراسة ثمة واحدة حول منظوميات الثقافة مباشرة، كتبها هوميروف بعنوان: «الثقافة والحاجات (الوظائف الضبطية التوجيهية للثقافة تجاه الحاجات البشرية)»، (ص63 - 67)؛

3 - فنينيسي؛ أعمال السيمينار عموم السوفييتي الثاني لعام 1981 / موسكو بمحور: «التحليل المنظومي ونمذجة العمليات الاجتماعية - الاقتصادية»، وهنا دراستان في الثقافة هما: «حقل استهلاك الثقافة كمنظومة فرعية أو تحت منظومة (بودسيستيم = subsystem) لنمط الحياة» وكتبها بيزروف، وبتصوير كوفسكي؛ والدراسة الأخرى بعنوان: «نحو تحليل الفعالية الاجتماعية - الاقتصادية لتطوير / تنمية الثقافة» كتبها كلياتشكو.

4 - فنينيسي؛ - دراسات منظومية: مشكلات منهجية / حولية 1982؛ ومن بين أكثر من عشرين دراسة توجد واحدة فقط في منظوميات الثقافة كتبها هوميروف وعنوانها: «ثوابت الثقافة / لا متغيراتها المنظومية - السيميائية» ثوابت / لا متغيرات = إنفرياتي...، ص383 - 395؛

5 - الكتاب الريادي الجاد والأساس في منظوميات الثقافة بالروسية ربما كان بالفعل كتاب ماركاريان؛ نظرية الثقافة والعلم المعاصر، موسكو، 1983، وفيه فصل كامل / الأخير، حول «نظرية الثقافة وبعض مشكلات النمذجة الكوكبية (الفلوبالية)»، وخصوصاً الفقرة الأولى - «دور

الدراسة المنظومية للتقاليد والإرث الثقافي في النمذجة الكوكبية»؛ كما وردت فقرة أخرى أو عنوان فرعي في الفصل الثاني الذي عنوانه «الثقافة كموضوع دراسة علمية»، أما الفقرة الفرعية في الفصل - الأولى - فعنوانها «الثقافة باعتبارها منظومة»؛

6 - الكتاب الهام حول «مشكلات فلسفة الثقافة»، موسكو، 1984 بدأ خالياً من المنظومات في عناوينه الكبرى والفرعية معاً؛

7 - ي. ب. نوفيك من أساطين وأعمدة المنظومية عالمياً وهو دكتور علوم فلسفية ومدير مخبر «فنينيسي» لخطة الدولة «السوفييتية» ولأكاديمية العلوم «س» ومختص في مجال فلسفة العلم الطبيعي ومنهجية الدراسات المنظومية، ومن «عتاة» وأركان معهد موسكو المنظومي وأكثرهم وأحدثهم نشاطاً داخلياً وخارجياً دولياً وكتبه مترجمة للإنكليزية وغيرها، وهو مع ذلك لم يول الثقافة اهتمامه الكافي منظومياً على سعة طيف دراساته المنهجية المنظومية، وكان مراجعاً رئيساً لرسائلي الأكاديمية ومباركاً شديد الإعجاب، معبراً عن ذلك على الملأ في جلسة الدفاع، ويبدو أنه أُنهر بسعة طيف المنظوميات في رسائلي (التي وصفها بالاحترافية والممتعة...) وتنوعها وحضورها الكثيف المتداخل، مما قاده - حسب اعتقادي وتحميني - إلى تجاوز الموشور التخصصي التقليدي للمنظوميات صوب الحديث عن التفكير المنظومي بل و«نمط التفكير المنظومي»، وهذا هو بالفعل أول عنوان وعمل بهذا المعنى والمنظور بلا سبق من إحياءات وانطباعات لا أشك في انعكاسها على اختصاصي مخضرم ورهيف أطلع على تلك الرسالة المليئة بسائر المنظومات في كافة المجالات وفي كل مكان منها؛ وهكذا جاء كتابه بهذا المعنى ريادياً ولأول مرة - «نمط التفكير المنظومي»؛ سلسلة «المعرفة» (شهرية)، العدد الأول / 1 عن سنة 1986 - الفلسفة اختصاصاً؛ وعلى الرغم من أنه العمل الأول الذي طرق هذا الباب منظومياً، على عراقة تراث ذلك هناك، فإن الثقافة غابت عن سائر منظومات ومنظوميات هذا الكتاب أيضاً، في حين انوجدت عندي رسالياً في فصل كامل أطلع عليه عام 1984 بالروسية؛

8 - في حدث مفهوم لي وقد يصعب أن يكون كذلك لأخريين انعقد في جامعة موسكو الرسمية (لومونوسوف) بداية عام 1985 بحضوري ومتابعتي في الشهر الأول / ك2، مؤتمر - سيمينار اتحادي عام (عموم - سوفييتي) بمحور «نظرية ومنهجية وتطبيقات الدراسات المنظومية» في الجامعة إياها (حيث أنا، بل وبرعاية وتنظيم مشترك مع القسم الذي أنا فيه «بين الكلياتي»)، وقد شارك في التنظيم نوفيك ذاته ورئيس قسمنا كوتيفوف (البروفيسوران)، ويخصص نوفيك في كتابه المذكور جزءه الأخير لتغطية هذا الحدث مبيناً أن العرض شمل سائر الدراسات المنظومية في المؤتمر - السيمينار من حقول: «الفلسفة والرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء والتقنية والاقتصاد وعلم البيئة والطب»، ولكنه سها عن ذكر الثقافة التي حضرت جزئياً (ربما بسبب ضعف اهتمامه بها) لكنه أورد ذلك على كل بتغطية مساهمة ماركاريان التي وصفها بأنها شديدة الأهمية للتحليل المنظومي حول «الجوانب القيمية لتطور العلم»، وتقدير ماركاريان حول مكان العلم في منظومة التنظيم الذاتي الاجتماعي، مضيفاً إلى قائمة الجوانب الثقافية (كلتشورولوجية) والاجتماعية لتطور العلم مساهمات وتقارير: ليبين، وهوميروف، وسافينسار، وفودايانوف بالمشاركة مع زليينكوف.

9 - في ثلاث / 3 دراسات بالبلغارية حول المنظوميات - «مشكلات التنظيم الذاتي» لعام 1987 غابت الثقافة تماماً بدورها هناك ورد هذا في تعضية دورية الفلسفة وعلم الاجتماع، ع2 / 1988 خارجاً، بالروسية عن «الفكر الفلسفي» البلغارية، مع أن ماركاريان كان ربط بينهما سابقاً ربطاً محكماً وحكيماً.

# الفضاء التشكيلي للنص الأدبي

د. محمد صابر عبيد

يتميز النص الأدبي ببنية تشكيلية ذات صفة نموذجية خاصة تشارك فيها أنواع النصوص الأخرى مشاركة كمية ونوعية، إذ هي تعتمد في تشييد بنيتها على عناصر تشكيل ينزاح عملها عن نسق الواقع والمألوف اللغوي في طبيعته التعبيرية السائدة، ويدخل في شبكة علاقات لا يمكن استقبالتها، وفهمها، وإدراك مقاصدها وتأويلها، باستعمال الأدوات التقليدية في معالجة لغة النصوص والتوصل بمعانيها، بل تتطلب نظم تلق خاصة تتلاءم والطبيعة النوعية الخاصة التي تتمثلها هذه النصوص.

وأمام هذه المفارقة التي تتمخض عن مشكلة جوهرية في عملية التلقي، تكون بنية التشكيل المؤلفة للنص الأدبي قد وضعت أول خطوة في طريق تأسيس فضاءها المختلف، وهو يعلن إخضاع الأدوات التقليدية شبه المستهلكة أمام خطاب غير تقليدي على النحو الذي تقوم فيه الحاجة إلى تطوير/تحديث/استبدال هذه الأدوات، في السبيل إلى تهيئة أدوات أخرى قابلة لمقاربة مغايرة، تناسب الكيفية التي حل فيها الخطاب الجديد بحيث يكون بوسعها محاورته والدخول معه في لعبة فهم وتفسير وتأويل وقراءة.

يتمتع النص الأدبي بكيان خلّاق وري يؤثته الفضاء التشكيلي بطاقة فنية عالية، تتوزع فيه المكونات القادمة من مصادر ومرجعيات مختلفة بعد انصهارها جمالياً على جسد الكيان بنسب متفاوتة، تخضع لهندسة لغوية وكتابية وتشكيلية غاية في الدقة والإتقان والحساسية، لأن طبقات النص الأدبي بحاجة إلى قدر عال من التركيز القرائي للكشف عنها داخل بنية التشكيل الجمالي الذي يشق عن قابلية حوار وعطاء وإدهاش وإمتاع لا تتوقف عند حد، وتستجيب لفعالية القراءة ونشاطها وكثافتها ووعيتها وجرأتها.

إن إدراك خصوصية الفضاء التشكيلي للنص الأدبي في منطقة القراءة من شأنه أن يقلل كثيراً من مشكلات التلقي من جهة، ويضعف على الكشف والتواصل والتفاعل والوصول، ومن دون الاعتماد على وحدة القاعدة بينهما بوصفها ميثاقاً بنائياً وثقافياً ومعرفياً لا يمكن أن يتحقق التواصل المنشود، وستحرف القراءة باتجاه مسارات تلق غير صحيحة تنتج سوء فهم كبيراً، يمكن أن يقوّض العملية التواصلية ويقودها إلى حصيلة ملتبسة ووهية غير منتجة وغير صحيحة تعدمها وتجعلها غير ذات قيمة.

لا ينجح النص الأدبي إن لم يخضع لسياقات صحيحة في بناء فضاءه التشكيلي، وهو شرط جوهري لتخصيته وأدبيته معاً، إذ إن التشكل

النصي له قوانينه وأعرافه البنائية كما أن للادبية قواعدها ومواعظاتها الفنية والجمالية أيضاً، وربما كانت قابلية النص ونجاحه في مخاطبة قدرة المتلقي على الانفعال - ضمن هذا الفصل القرائي المهم - من أبرز خصائص التواصل الأدبي وأكثرها فعالية في إنتاج قراءة ناضجة وخصبة.

القراءة الصحيحة تلج النص من بوابة الانفعال بحيوات التشكيل النصي الدائمة الإغراء والإدهاش والتحدّي، وهي تفتتح برحابة ومرونة على توطيد فعل الحب المتبادل والضروري بين الطرفين، فلا قراءة فاعلة وعميقة وجوهرية ومنتجة من دون الارتضاع برغبة القارئ إلى مصاف الحاجة الماسة نحو معانقة الجسد النصي ومداعبته وترويضه، وإثارة مكامن اللذة فيه واستشعارها، والتلذذ بتموجاتها وتمظهراتها، واستنطاق أسرارها، والابتهاج ببريق كنوزها العميقة الدهنية.

وإذا ما وجد القارئ ذاته القرائية وقد أصبحت في خضم الفضاء التشكيلي للنص الأدبي، فاعلاً ومنفعلاً، جاذباً ومجذباً، وفي حوار وظيفي يتنكب أهدافاً لا بد من العمل المجتهد لإنجازها، فإنه لا بد من أن يتحوّل إلى جزء من كيان هذه العلاقة المزدوجة والإشكالية، التي لا يستمر القارئ في السعي الحثيث إلى إخضاع شراسة النص لمنطقه حسب، بل يمنح نفسه بالمقابل لأليات التواصل نفسها ويفتتح على مقولات النص، بحيث يرجع النص لقصته الشخصية الكاملة، ويقرأ ذاته وحلمه في مرايا النص وجواهره. فإن القراءة تصبح شريكاً قائماً وجسراً لخلاصه الإنساني، إذ إن شبكة الرموز المؤلفة لكيان النص والهادفة إلى إنتاج معنى ((محتمل))، لا يمكن لها أن تتجلى تجلياً فاعلاً على طريق إنتاج صورة المعنى من غير مرايا تنعكس عليها الصورة، ويتمظهر المعنى في تفاصيلها وطبقاتها وظلالها. وبما أنها تتشكل على وفق هذه الصورة بوصفها مادة تنتقل من حيز إلى آخر فإن ذلك يتطلب ((حاملاً)) يهض بالمهمة.

لا سبيل إلى إجراء التعديلات المطلوبة من دون حضور ((معدل)) يمتلك الخبرة والتجربة والاستعداد والقوة والثقافة والمعرفة، والأفق القرائي المتجدد والمتعدد والواسع والعميق، لإنتاج تعديلات صائبة تستجيب لتوجهات الرموز وسميائيتها وطرقها المختلفة في إنتاج المعنى، وهو ذاته ((المراقب)) الذي يتدخل بوعي في تسيير حركة المعنى داخل شبكة الرموز على نحو سلس ودينامي، وخاضع للاستراتيجية العامة التي كوتتها السياسة القرائية للقارئ عبر مجموعة تجارب قرائية

شكّلت حصيلة منتجة، صار بوسع القارئ فيها أن يقرّر مستوى نجاح انفعاله بحيوات النص داخل فضاء التشكيل.

وإذن هي في المقام الأول آليات توجيه قرائي تجيب على الكثير من الأسئلة الغامضة التي قد تنبثق من حساسية الحوار القرائي مع المتن المركزي، لذا فهي بحاجة إلى تبني قراءة خاصة تأخذ بنظر الاعتبار حصيلة (حقل الملاحظة) الذي أسسته القراءة في تعاطيها مع المتن، فضلاً على معايينة وضع كل عتبة من العتبات على حدة، وفحصها على نحو يناسب طبيعة علاقتها ومدى قربها أو بعدها عن جسد المتن النصي.

فقراءة عتبة العنوان غير قراءة عتبة الإهداء، وقراءة عتبة الشكر غير قراءة عتبة التذييل، ثمّة عتبات قصدية وأخرى تتقصد العفوية، ثمّة عتبات شارحة وأخرى محرّضة أو تنبيهية أو مراوغة أو ممهّدة، ثمّة عتبات ديكورية وأخرى جمالية، وثمّة عتبات تنتج إشارات سيميائية لتسويق فكرة معينة موجهة للمتن، أو لملء فراغ في طبقة معينة من طبقاته.

على هذا الأساس فهي في جوهريتها وعمق صلتها بإشكالية المعنى وجمالياته قد تتفوق أحياناً على أهمية المتن في ستراتيجية القراءة، داخل إشكالية صراع المركز والهامش، ومن الضروري جداً التوقف عندها وقراءتها بدقّة وتركيز عالين، والعودة إليها في كل إشكال قرائي تواجهه القراءة وهي تتدخل في أعماق المتن النصي.

هكذا على القارئ أن يحضّر حواسه كلها ويستثيرها، ويمدّها بأسباب الانتباه ويشحذ قدراتها على التأثر والتأثير والانفعال والاستقبال من أجل قراءة جمالية أكمل وأكثر حيوية وفائدة، وتأتي هذه القراءة الجمالية نتيجة طبيعية لقراءة تأملية سابقة عليها إجرائياً ومؤدية إليها سياقياً، وهي تتكاتف وتتضافر من أجل خلق جو تلق مناسب صالح لاستكشاف أسرار التعبير النصي وخصايته الإبداعية.

لا شك في أن النصوص استناداً إلى هذه الضريعات البنائية في مجال النشاط الخلاق للقراءة يجب أن تكون غنية ومشحونة بالخبرة والتجربة والمعرفة، على النحو الذي تتحدّى فيه ثقافة القارئ ووعيه ورغبته وحلمه بالحصول على اللذة والمعرفة، ولا يتشكل فضاءها في هذا الإطار إلا في سياق تنظيم نوعي خاص لشبكاتها النصية يستوعب أدبيتها في الاستخدام الفريد للغة، وأسلوبية التعبير، وخلق الرموز، ورسم حركة الدوال، ومن ثم الوصول بالتشكيل إلى أبلغ وضع جمالي ممكن ومتاح.

## مختارات من فقه اللغة وسرّ العربية

• غسان كلّاس

كل	ما علاك فأظلك فهو سماء
كل	أرض مستوية فهي صعيد
كل	بناء عال فهو صرح
كل	شيء دبّ على وجه الأرض فهو دابة
كل	ما غاب عن العيون وكان محصلاً في القلوب فهو غيب
كل	أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحشة
كل	ما هيجت به النار إذا أوقدتها فهو حطب
كل	نازلة شديدة بالإنسان فهو قارعة
كل	ما كان على ساق من نبات الأرض فهو شجر
كل	بستان عليه حائط فهو حديقة
كل	كريمة من النساء والأبل والخيل وغيرها فهي عقيلة
كل	ما له ناب ويعود على الناس والدواب فيفترسها فهو سبع
كل	طائر ليس من الجوارح يصاد فهو بغاث
كل	طائر له طوق فهو حمام
كل	نبت كانت ساقه أنابيب وكعوباً فهو قصب
كل	ريح لا تحرك شجراً ولا تعضى أثراً فهو نسيم
كل	كلام لا تفهمه العرب فهو رطانة
كل	شيء جلست أو نمت عليه فوجدته وطيباً فهو وثير
كل	شيء من متاع الدنيا فهو عرض
كل	شجر له شوك فهو عضاه
كل	شجر لا شوك له فهو سرح
كل	نبت يقع في الأدوية فهو عقار
كل	جبل عظيم فهو أخشب
كل	موضع حصين لا يوصل إلى ما فيه فهو حصن
كل	ما يلي الجسد من الثياب فهو شعار وكل ما يلي الشعار فهو دثار
كل	عظيم عريض فهو لوح
كل	ما يروعك من جمال أو كثرة فهو رانح
كل	شيء استجدته فأعجبك فهو طرفة
كل	شيء قليل رقيق من ماء أو نبت أو علم فهو ركيك
كل	شيء لأن من عود أو جبل أو قناة فهو لدن

## يوم ميسلون

## • فرحان الخطيب



بيوسف تزهو بالرجال المواقف

وترنو لزنديه الرماح الرواعف

ونحمل مجد الأكرمين وسامنا

ويوسف ما بين الميامين واقف

ولما نزل ماغ بت نستاف جرحنا

وتزجي حمانا للأشد العواصف

توسطت ساح الشام طوداً منافحاً

وتبسّم، لو هلّت عليك القذائف

(وقفت وما في الموت شك لواقف

كانك في جفن الردى وهو) خانف

وما ذبّت عينك، فالتصرّ فيهما

عقاب على هام الكواكب طائف

ويكفي فرنسا أن تكون نديدها

وقوفاً شجاعاً، والقرني زاحف

ولكن مجد الشام، ما انفك شاهقاً

تجلل أمجاد الشام المطارف

وإن غبت، ما أبداً حياً رجائنا

علي وفوزي والهناو الغطارف

ولم يبخل السلطان في وقد ثورة

تشيل بها ضد الغزاة الطوائف

وقد حصلوا بالدم ماكنت تشتهي

فغنى تليد للجلاء، وطارف

أيوسف والدنيا تركت نعيمها

فضمك عز، للسماكين وارف

ولكن وهبت الشام تيهاً وسوداً

وتزدان مما قد صنعت المتاحف

## • سميا صالح



حيّاك بالورد  
في ماذا تحييه  
يا قلب فأعزّفتي لحنا  
في مغانيه  
للمن من الضوء  
عقداً حول منحره  
واسكب من العين  
موسيقى تناجيه  
دع مايقال عن العشاق أنهم

## • فائز حداد

حين أزهر بالجرح يتيم الحب..  
أغرّد بايات الوجد متمها..

فأنا في يد ملك قتيل !!  
تبهرجت في التواريخ ما بين صدر  
وصدر..

وأعيني تساقط العواصم نساء !!  
خلت فراضي يلخصها الرب في  
أنثى وأحفظها ككتاب..

فتعلمت العزف على الجملات .. وما  
ألقيت غير موسيقى الجنائز  
في بلد كضيف الرايات كسيح الرأي !!

فالغيب ليس بعبدي.. بل بكاهني الأعمى  
أو بأصبعي الذي تشهد في صلاة خائنة !!  
تري..

أنسينا الورد وتمسكتنا بالجمرة .. هل في الجمر  
اخضرار؟ !!!

ربما تكاذب الغاؤون .. فالحب لا يأتي الا في نظرة  
قاتلة !!

كم أرهقتني المواعيد قبل أن تضارعني الرحيل ؟؟!

## جوهرة ضائعة

فهل ستشتعل العيون على العيون وتلتئم

الجراح على الجراح

وتمزق الكف التي دفاتها صوري وتحرقها

عند نافذة الحدود؟ !!!

فيا الغزاة : لا تؤمميني..

حتى تفقنين عين النص وانت المبصرة

ويا ليت دماءك تجري على هواي ..

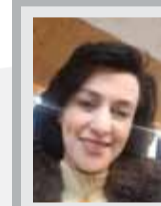
حين أفتح باب الفيم وتسقط الرياح عند بابك

ذبيحة

فكم أحسد عيون الصاعقة ..

لما تتقادح على بريق خدك الذهب.. أيتها الجوهرة

## رؤى قمرية !!



دع اسمك لي

أنا أدري منك بتلفظه

دع لي نعمة عد بلايله

اسمك..

توارد أفكار الغدران..

مع رقيم محافظ خطف طفولتي  
هو غرض الريح..

حين تذهب مع المدى برحلة صيد

اسمك الحلوى الكاذبة التي يمني بها التاريخ دم  
المقهورين!

حين شربت الأزمان.. رأيتك

أنا الميئة في حادث انبهار

تنقري العنقاء..

فأفبق كروى قمرية

لكن، لم يزايلني الحنين

يا حب..

أرني عرض منكبيك يا حب

لأفيس كم موتاً بقي في عمري؟

فلم أستشف من نواياك إلا الزناد

امتحناً يا حب امتحناً..

وزور علامتنا لتعيد!

وصورنا ونحن صرعى العاطفة

لنضحك علينا حين يفشانا اليقين

كعصفور تسبرع ممتناً بكل ريشه للعاصفة

وما زال يعتقد أنه سيد الريح..!

إن اختلف الرواة يا حب

فأنت قاتلي الحبيب..

نقطة آخر القلب..!

## صيامي

## عن

## لماها

## • علوش عساف



صيامي من لماها صار حلاً

فكيف الله حرّم ما أحلاً

قيام الليل في العينين تقوى

وفرض كالصلاة لمن تحلى

بأخلاق الجمال وعاش عمراً

وعن أخلاق دينه ما تخلأ

ساحيا عاشقاً وأموت صبياً

وأحمل في جيوب الروح خلا

فسيحان الذي قد صاغ ليلى

وفي أطراف بسمتها تجلى

أرى قلبي توحاً بالخطايا

ورتل آية الأنثى وصلّى

أرى طيفاً لها بثياب وجد

مع الأنسام فجراً قد أطلأ

فقلت وقبلي تفتّر شوقاً

تجاوز في جنان الورد فلا

عيوني باسقاط الكف جوعاً

وتفاح من الأعلى تدلّى

أأقطف حبتين كلون شوقي

فردت والشفاة ترف.. كلأ



## تحية

تكسو البراءة

مثل الفجر ماضيه

فالأمس شهد

وقبل الأمس سكرة

واليوم أحلى

فغني يا لياليه

تناغيه

حلق إلى ما وراء الغيب منتشياً

إذ لم يسعك وجود

في مبانیه

لله در

مسمى العشق ما فعلت

أيديه فينا وما أيقت مبانیه

أبقت بنا عمر طفل

ضاحك أبداً

شكل الجنون بهم

أضحوا مراسيه

ذب بالخليل فقد

فاض الحشا شغفاً

حد القناء به

كي ما ترى فيه

مثل التسييمات وقت الضجر

ضاحكة

أو كالتسامم في روض



## ممنوع من الكلام

• محمد الحضري



فجأة خطر في بالي ما أقلق راحتي وعكر مزاجي، بل وطير النوم من عيوني، ماذا لو كانت أمي قد تزوجت؟

- تزوجت

- نعم تزوجت، ولماذا لا تتزوج؟

- لأنها أمي.

- وأمك أليست أنتي؟ أليست امرأة؟

- نعم

- إذا لماذا تنكر عليها حقها؟

- حقها!

- لا ترد علي كالأبله هكذا، لقد توفيت والدك منذ دخولك السجن.

- رحم الله أبي، والمعنى؟

- ها أنت قد عدت لحماقتك من جديد، المرأة يا حبيب روحي جسد ورغبة وحاجات يجب أن تلبى.

- أمي وفيه لذكرى أبي.

- أمك إنسانة، بشر من لحم ودم.

أغمضت عيني بقوة وذلك الحديث يدور في داخلي وكأنني في حالة صراع مع نفسي، ورحت أفكر ما أمكنني بطريقة عاقلة ومنطقية، فحين جئت إلى هنا وقد تلازم ذلك مع وفاة أبي بقيت أمي وحيدة وليس من يؤنس وحشتها سوى أخوَي الصغيران سامر وسميرة. صحيح أن أبي رحمه الله قد ترك لها راتباً تقاعدياً وما لا يمكن أن يكفيها لتعيش مستورة الحال طول حياتها مع أخوي الصغيرين. لماذا أصر أن أقول عنهما صغيرين لا أدري وقد مضى على تركي لهما ولمنزلنا الصغير عشر سنوات؟ الله وحده هو العالم ماذا جرى لهما من بعدي. لكنني أستطيع أن أخمن، فأني قد تزوجت من أحد جيراننا، أو من أحد أصدقاء أبي، وأستبعد أن تكون قد تزوجت من أحد أقاربها لأنها كانت تكرههم ولا تطيق رؤية أحد منهم.

تذكرت الآن كل شيء والأمر ليس تخميناً إذ، بل هو حقيقة واضحة وضوح الشمس في عز النهار، الآن عرفت وتأكدت من كل شيء فقد كنت أسمعها وهي تحدثه على الهاتف: "البيت بيتك يا أبو العبد، أنت تعرف معزتك، البيت ينور بوجودك يا رجل" وكانت أشهر عباراتها حين يحمر وجهها وتقول: ولو يا أبو العبد، أنت مو غريب، تعال يا رجل ولا تبقي وحدك، فالوحدة موحشة، تعال ودعنا نقطع الوقت وتنتسلي.

كانت تطلب من أبي أن يذهب إلى السوق ويجلب لها أفضل ما فيه من لحومات وخضرة وفواكه ومواالح، لتطبخ لصديقه أبي العبد أجود أنواع الطعام، وتقدم له أحسن ضيافة يمكن أن تقدم، ثم تجلس بينه وبين أبي ويسهران حتى منتصف الليل.

كان صديق أبي الحميم ورفيقه اللصيق يقضي معنا في منزلنا أوقاتاً طويلة فهو أرملة ولم تنجب له زوجة الأولاد، وبعد وفاتها رفض قطعياً الزواج من أي امرأة وفاءً لذكراها كما كان يدعي، على الرغم من محاولات

أبي الكثيرة لتزويجه لكي يرى ابنه عبد الذي بقي يكنى به من دون أن يأتي إلى هذه الدنيا.

أكد أجزم أنها تتسلى مع أبي العبد الآن.

كنت أكره ذلك الرجل وتأخذني الغيرة

على أمي، وكنت أتمنى من أعماقي أن أطرده

من منزلنا شر طردة، لكنني لم أكن أجروء على ذلك خوفاً من أبي الذي كان يحبه كثيراً، وحين كنت أتجنب تحيته وأبقى عابساً في وجهه كان أبي يخاطبني أمراً: تعال وسلم على عمك يا ولد.

كنت أفعل ذلك وأنا أردد بيني وبينني: "وعمي يعمي عيونو" إنه ليس عمي

آه منك يا أبي، سامحك الله على كل حال، هاهو صاحبك قد تزوج أمي بعد رحيلك.

رفعت البطانية عن صدري وجلست على الفراش وأنا أقول:

وسامر وسميرة ماذا حل بهما يا ترى؟ خطر السؤال على بالي فجأة، شعرت بيد تعيديني لأتمدد على الفراش وكأنني لم أجلس أو أحاول ذلك، شعرت بتلك اليد تربت على صدري وتلمس جبيني وهأنذا أرى عمي بكرشه الذي يتقدمه قد جاء من بلدتنا التي كنا نعيش فيها ليواجه أمي مع زوجها أبي العبد في منزلنا: اسمعي يا امرأة نحن لا نسمح لرجل غريب أن يسكن في بيوتنا ويتزوج نساءنا.

يتوقف قليلاً وهو ينظر إلى أمي وزوجها ثم يضيف: لا يمكن أن أسمح لأولاد أخي أن يعيشوا في كنف أي إنسان غريب.

تنظر إليه أمي وتقول غاضبة: هذا ليس غريباً، إنه صديق والدهما رحمه الله وعمهما.

- لا تقولي ذلك أمامي، هذان الطفلان ليس لهما من عم في الدنيا سواي، فدعينا ننهي الموضوع بهدوء.

- كيف تريدنا أن ننهي الأمر؟ إنني أسمعك.

- تأخذين نصيبك من ميراث أخي وحصتك من المنزل، وتغادرين مع زوجك هذا إلى منزله.

- والولدان؟

- عند أهلها في الحفظ والصون.

تقبل أمي بذلك وكأنها كانت قد هيأت نفسها من قبل لهذا الأمر، بينما يبيع عمي المنزل ويقتاد معه شقيقي ليأخذهما معه إلى البلدة، يفعل ذلك وكأنني لست موجوداً، أو كأنني ميت لا رأي لي، كيف حدث هذا لا أدري.

المهم عند عمي أن يخرج رابحاً من تلك الصفقة، هذه هي عادته مذ كنا صغاراً، وهذا هو يختتمها ببيع منزلنا في المدينة ويضع معه ميراث أبي في جيوبه، وشقيقي سامر ترك المدرسة وهو الآن يعمل مقابل قوته اليومي لدى عمي، وسميرة واحسرة قلبي عليها دائماً لأنها أيضاً تركت المدرسة وأجبرها على الزواج من أحد أبنائه.

لن أغضرك يا عمي لما فعلته مع أخوي الصغيرين، ولما نهفته من أمواتنا من ميراث أبي. وأنت يا أمي ألم

يكن بمقدورك أن تؤجلي زواجك ولو قليلاً ريثما أخرج وأكون حاضراً كي أبارك زواجك وأهنئك عليه؟ أم إنك خفت أن أكون موجوداً وأعترض على ذلك الزواج أو أمنعك منه، آه وآه، متى سأخرج من هنا لأستطلع الأمور وأعابيتها بنفسي وأرى ماذا خرب الجميع في غيابي؟.

هذا ما كان يدور في خلدي في تلك الليلة المحكمة الظلام، وبينما كنت في أقصى شرودي، أضرب أخماساً بأسداس لأجل حالة الضياع التي وصلت إليها عائلتنا في غيابي، وإذا بي ألمح خيالات عند باب الزنزانة، فاعتقدت بادئ الأمر أنه مجرد حلم يخالط بقية أحلامي وهلوساتي في اليقظة، لكنه لم يكن كذلك فقد رأيت في تلك اللحظة الضابط المسؤول عن الحبس ومن خلفه المحقق قد دخلا من بين قضبان الزنزانة وكأنهما ساحران شريان، حيث لم يحدث دخولهما أي قرقرة للسلاسل، ولم أسمع صرير الباب المعتاد.

قال الضابط: سياسة يا بن الحرام!

قلت بصوت مرتجف: حشيش والله العظيم حشيش. أسأل المحقق الذي ضبط الكمية مع عناصره في منزلي. قال المحقق: أنت كاذب، لم نجد شيئاً سوى الكتب التي يقرؤها المجانين من أمثالك.

إنكاره للمضبوطات في منزلي ثبت تهمتي، لذلك انكفأت على ذاتي ووضعت رأسي على صدري ورحت أبكي وأبكي، لأنني لن أخرج من هنا إلا محمولاً على الأكتاف.

لقد نجت أمي وعمي من عقابي، ولن أستطيع أن أنقذ أخوي من الحالة التي وصل إليها، وأبو العبد الآن يتبغدد على المرأة أمي ومعها نقود أبي. يا لهول مصيبتني، وما أصعب أن يقهرك أقرب الناس إليك.

كنت أردد ذلك وأنا مغمض العينين، ودموعي تزداد انهماراً، وحين فتحتهما على اتساعهما لأتأكد أنني قد عدت إلى صحوي، أو إلى الحياة مجدداً فاجأني البياض المحيط من كل جانب، بياض الحيطان والستائر، غطاء السرير، وملابس الكادر الطبي، وحتى أكياس الأدوية المعلقة فوق رأسي والممددة بأسلاك رفيعة نحو يدي اللتين خلتها بيبضاوين. كانت أمي تشد الغطاء على

صدري وعن يمينها يقف أبي، بينما وقف صديقه أبو العبد عن يسارها، كانت تقف في المنتصف كما هي العادة، وكان عمي يقف مقابل لهم عند الطرف الآخر من السرير، شعرت أن في أعماقي صرخة يجب أن تخرج في تلك اللحظة، تحرك لساني أو هكذا هيئ لي، غير أن الطبيب تقدم مني على عجل. أبعد الجمع عن سريري، ثم وضع يده على فمي وقال: أنت ممنوع من الكلام.



# محمود جنداري

## صوت السرد العابر للزمن

• د. فيصل القصيري

الكتابة عن الراحل الكبير القاص والإنسان المبدع محمود جنداري ليست هينة ولا بسيطة بل هي مغامرة ومجازفة، ولا سيما في ظل احتفائية أصيلة وبهيجة ومبدعة وخلاقة تنهض بها مجلة ((شرفات))، هذه المجلة التي يحق لمبدعي نينوى والعراق أن يفضخوا بها في ظل غياب واسع لهذا النوع من الحراك الثقافي المتقدم والمتطور في مدينة تاريخية هي أم الثقافة والإبداع على مر العصور، فحين تحتفي ((شرفات)) بمنجز محمود جنداري إنما تحتفل بنا جميعاً، ونحن نحتفل بها وبجنداري وبكل مبدع حقيقي أسهم في رفع شأن نينوى التاريخ والحضارة والراهن عالياً، في عراق متنوع هو أصل الحضارات والإبداعات والمعارف والقيم والتقاليد.

وإذا كانت ((شرفات)) قد ولدت كبيرة فإنها باحتفائها الجميل بجنداري تكون قد أضافت لكبريائها ورفعتها وانفتاحها واستقلاليتها وعراقتها الكثير، وستضع بذلك ديناً كبيراً في أعناقنا جميعاً يرغمننا على مساندتها ودعمها وحرصتها لتكون صوتنا المنتظر وحلمنا المستمر، ولتكون مجلة باذخة بعطائها ورؤيتها وحساسيتها وفنائها وفلسفتها، تدخل التاريخ من أوسع أبواب المحبة والإبداع والأصالة والحرية والثقة والتحدى لمن يرون بعيون عشقهم للجمال لا بعيون حسدهم له.

في صباح ممتزج بنكهة الربيع الموصلي الأنيق والشفاف والتواضع من عام 1989م التقيته على عتبة مديرية النشاط المدرسي في المديرية العامة لتربية نينوى، الرجل الهادئ ذو النظرة العميقة النافذة الثاقبة الخصب، الرجل الذي سمعت عنه الكثير المشرف والمبهج، الرجل الذي يحمل اسماً حافلاً بالثراء والإبداع (محمود جنداري)، وكان إلى جانبه أقرب أصدقائه من الأدباء والشاعرين رعد فاضل، الذي كان حريصاً على تمضية معظم وقته معه، مع هذا الكائن السردى المحتشد بالحكي، والمختنق بحكايات الأيام القاسية في المعتقل، كان هذا أول لقاء بيني وبينه وجهاً لوجه، بعد أن بهرني بما قرأت له من قصص دفعتني لاقتناص أية فرصة متاحة للقاء، جعلني أرى ما كنت أتخيله بوضوح وقرب وإمعان.

بعد هذا اللقاء عرفته عن قرب فكان أكثر ازدهاراً وبهاءً عما عرفته من بعد، ووجدته فعلاً كما وصفه صديقه الصادق الحميم

الشاعر رعد فاضل ((قاصاً كبيراً من طراز رفيع ونادر، قاصاً مؤسساً لتيار قصصي عراقي وعربي لم ينل حتى الآن إلا بعض حقه من الفحص النقدي، هو مفكر خطير وكاتب متعدد الاهتمامات))، وعلى الرغم من ذكاء هذه العبارة ودقتها وانصافها لكنني أعدها نتاجاً نقدياً ورؤية عميقة راصدة ودليلاً لكل من قرأ قصص الكبير جنداري، هي خلاصة بارعة لسارد حارس من حراس الحقل الأشوري الكبار على ندرتهم سردياً وشعرياً ونقدياً وفنياً.

سعى محمود جنداري إلى إغواء القارئ، واختباره، وامتحانه، وتحريضه، وتويريطه، واسقاطه في حمى سردية ذات درجة حرارة عالية جداً يصعب عليه التخلص منها مهما بلغ من الوعي والصحو القرآني، كي يندمج بأفقه القصصي مأسوراً بحضور ((فضاء قصصي مستقل بقوانينه)) كما عبر عن ذلك القاص الكبير محمد خضير في وصف أفضية القصاصين الكبار في تاريخ السرد.

إن محمود جنداري الإنسان أولاً قبل الفنان يمتلك طبيعة إنسانية خلابة لا حدود لها، لا مكان لها للحسد والغيرة والعقد التي تسير الكثيرين من أشباه الرجال وأشباه المبدعين، صديق لذيذ لكل من يقترب من بهائه وشمسه ومطره وطبيعته الرحبة التي تسع الكون، يشعر من يجالسه بالألفة والمحبة والثقة والكبرياء والحرية، مبتسم دائماً مع كل ما يختزنه من ألم عظيم هو ذخيرة الإبداع العظيم، حساس بريفة مدهشة تجعله لا يتكلم إلا حيث ينبغي له أن يتكلم، وهو بخلاف الكثيرين يحسن الإنصات لمن يتكلم باهتمام إنساني رائع، وتدل تعليقاته الذكية السردية (اللاذعة أحياناً) على خبرة عميقة وكثيفة وثرّة تكفه غالباً عن إيقاع أي أذى بالآخر، بل على العكس كان من أكثر أدباء المدينة اهتماماً بالشباب وتشجيعاً لهم، ولا أظن أن أديباً شاباً قصده من دون أن يترك أثراً إيجابياً لديه هو أثار الكبار الخلاقين دائماً.

كنت ألتقيه في مقر اتحاد الأدباء والكتاب



العراقيين فرع نينوى الكائن في منطقة (الفيصلية) عدداً من المرات، لكن لقاءاتي به كثرت وتعددت حين انتقل مقر الاتحاد إلى (الدواسرة)، وكان للصديق رعد فاضل دور طيب وفاعل في إعادة جنداري إلى الجوّ الأدبي بعد تجربة المعتقل، ومع أن صمته كان يتحدث أكثر من لغة على

أكثر من مستوى، غير أن كلامه كان أبداً في محله، وهو يحاول جاهداً أن يعود إلى الحياة على طريقته الخاصة.

محبوه كثر، وحساده أيضاً، ولعل ضريبة التفرد والشهرة والتألق لاحقته كما تلاحق الكبار باستمرار، فهو من المعدودين على أصابع اليد الواحدة في فضاء القصة العراقية، له خصوصية متميزة في الإبداع السردى، وهو صاحب رؤية قصصية ذات تقانات جديدة مبتكرة، ورؤية إبداعية كونية أكسبته حضوراً كبيراً على المستويين العراقي والعربي، إذ لا يمكنك أن تذكر القصة العراقية من دون أن يقفز إلى ذهنك فوراً محمود جنداري صحبة محمد خضير وجليل القيسي ولطفية الدليمي وبقية الكبار في حاضرة هذه القصة، وربما جمعتهم شهوة الطقوس الأسطورية فراحوا يتدخلون بكل جرأة في عوالمها ودروبها وطبقاتها وجيوبها.

لعل عدداً غير قليل من قصص جنداري غامرت مغامرة محسوبة وواعية في فضاءات الأسطورة والتاريخ والراهن والذاكرة والحلم، بأسلوبية تعبيرية وتشكيل جديدة غير مسبوق، مثل (أمواج كالجمال) و (ليلة اصطيد الشمس ليلة خسوف القمر) و (عصر المدن) و (مصاطب الآلهة) من مجموعته القصصية الأخيرة (مصاطب الآلهة) وغيرها، إذ تهيمن أجواء الدين والسحر والأسطورة والجنس والتاريخ داخل خيال سردى بالغ النشاط والحيوية والتموج قل نظيره، متعدد الفضاءات والرؤى

والأشكال، يطير بها محمود جنداري محلّقاً في فضاء مفتوح بجناحين أحدهما يلامس الأرض فيثيرها والآخر يلامس السماء فيمطرها.

من المهم أن نشير إلى أن هذا الكائن السردى المتكامل، المحتشد بماء الحكمة وماء السرد وماء الرؤيا وماء الدهشة وماء المحبة، يقدم لنا قصصاً (وحشية هادئة) تتطابق مع حساسيته وسماحته وبساطته وسموه الروحي، فضلاً عن عمقه وتمرّده الداخلي العنيف وتعقيد رؤيته وانتشارها على مساحة المعرفة والإبداع معاً، فالقصة القصيرة كما يقول زميله محمد خضير هي فن البساطة، لكنها تلك البساطة العميقة الموحية الثرة المكتنزة المعطاء، وهي تقدم لك أعقد الرؤى وأكثرها صوبة واستحالة في كلام سردى يوهم بالبساطة والعضوية.

وعلى الرغم من أن محمود جنداري غادر الريف مبكراً واندمج بأجواء المدينة في بغداد وكركوك والموصل، غير أنه ظل عراًفاً أصيلاً من عرايى الحساسية الريفية المشبعة بالطرافة والنداء السردى الخفي، التي لا يُقدّر لأي ريفي إقتان أسرارها والتبحر في فنونها الساحرة المسحورة، وغذى قصصه بها على نحو فريد لم يبلغه أحد غيره، فقد ظل سحر الريف عالقاً في أصابعه وأهدابه ووجدانه، وتحولت عرافته هذه إلى آلة سردية راقية وفعالة ومنتجة ربما تمنأها الكثيرون من قصاصي المدن وعرافيها، ولم يبتعد عن المدينة (تاريخياً وأسطورة وراهنياً وحلماً) إذ سعى إلى سبر أغوارها والكشف عن هتنتها في قصص أخرى من قصصه.

ولعل ثنائية الريف والمدينة بوصفها مادة سردية إشكالية مثيرة على هذا النحو يمكن أن تكون مفصلاً ثقافياً خطيراً في تجربته السردية، ولا سيما إذا ما عولجت برؤية نقدية ثقافية متمكنة ورائية وقادرة على التنقيب في أرض سرده الساخنة، كاشفة عن حساسية هذه

الثنائية على مستوياتها كافة. إن قصصه من ((أعوام الظمأ)) مروراً بـ ((الحصار)) ثم ((حالات)) وانتهاً بـ ((مصاطب الآلهة))، فضلاً على روايته ((الحافات))، بكل ما تزخر به من شخصيات وازمنة وأمكنة ورؤيات ومقولات وأحلام وذكريات وأمنيات، ستبقى أعمالاً فذة عصية على النسيان، وهي جواهر ثمينة ينبغي حراستها، وسبقى محمود جنداري واحداً من القلة الهائلة التي برهنت على وجود قصة عربية راقية بمواصفات استثنائية خالدة.

## الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن  
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق  
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

### المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص ب(3230) - هاتف 6117240-6117241 فاكس 6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي: 1\$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشاركين خارج سورية

المدير المسؤول:  
مالك صقور  
رئيس اتحاد الكتاب العرب

الإشراف الفني:  
نضال فهيم عيسى

رئيس التحرير:  
أ. محمد حديفي

رئيس القسم الفني:  
مها حسن

مدير التحرير:  
د. حسن حميد

هيئة التحرير:

أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب،

علوش عساف، عماد نذاف، محمد الحفري

### للنشر في الأسبوع الأدبي

- يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسله 800/ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الإلكتروني hotmail.com@alesboa2016
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

الأراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة

تعبر عن وجهة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :

alesboa2016@hotmail.com

الاشتراك السنوي - داخل القطر: أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد 2000 ل س - وزارات ومؤسسات 2400 ل س - في الوطن العربي: للأفراد 6000 ل س أو 150\$ - للوزارات والمؤسسات 8000 ل س أو 175\$ - خارج الوطن العربي: للأفراد 2000 ل س أو 360\$ - للمؤسسات 3000 ل س أو 420\$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب - دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.



أ.محمد حديفي - رئيس التحرير

## سلام لقمري في ميسلون<sup>28</sup>

الوطن ونقاء التعايش، ووحدة اللغة والمصير المشترك إضافة إلى الماضي المشترك ووحدة العادات والتقاليد...

ورداً على محاولات فرنسا الينايسة، وبعد ان انكشف دورها المشبوه وبانت نواياها الحاقدة التي تمثل نوايا الاستعمار قديمه وحديثه، ما كان من السوريين كل السوريين ودون استثناء الا ان متنوا صلاتهم بعضهم ببعض، ولئن كان ما يجمعهم فيما مضى حب التعايش، وتشابه العادات والتقاليد، والامور العديدة الأفضة الذكر، لذلك أيقن السوريون ان فرنسا لم تأت لتنشئ لهم المصانع وتشق الطرق وتبني المدارس التعليمية لتعليم ابنائهم، وانما جاءت لتشتت قواهم وتضعفهم وتنهك اقتصادهم بجباية الضرائب، من اجل ان تجعلهم ضعفاء مسلوبي الارادة منهوكي القوى، ويدورون في فلكها تفعل بهم ما تشاء، وتفرض على الرجال الخدمة لمصلحتها ورفد جيشها بالمقاتلين الأشداء وخاصة ان العالم خاض حرباً عالمية شرسة اودت بالكثير من الأرواح، علي وشك الاعداد لحرب ثانية ضارية تحتاج لوقود يذكي نارها لترجيح الغلبة على الاعداء، علماً بان لمصلحة للعرب بشكل عام، والسوريين بشكل خاص يخوض اي حرب لمصلحة الدول الاستعمارية الكبرى...

المهم ان دور فرنسا المشبوه ومحاولتها الينايسة لتدجين السوريين فسلنا تماماً في استقطابهم أو اذعانهم، بل بالعكس من ذلك فقد تحولت لعبة فرنسا المكشوفة الى دافع مكن السوريين من رؤية واكتشاف النوايا بشكل لا يدعو الى اللبس والغموض، وهذا مادفعهم اي السوريين الى اتخاذ القرار الوطني التاريخي المقدس بإطلاق راحة فرنسا ومحاربتها بكافة الوسائل المتاحة لاجبارها على مغادرة الاراضي السورية ومنح السوريين استقلالهم، وقد ادرك السوريون وبما لا يدع مجالاً للشك ان فرنسا صاحبة التاريخ العريق باضطهاد الشعوب واستعمارها وسرقة خيراتها، لن تغادر ارض سورية الا مرغمة، لكن كيف يتم ارغامها، هذا ما يجب ان يخطط له السوريون بدأب وعناية واستمرار...

وبدأت المعارك ضد فرنسا تشتعل هنا وهناك، فقامت معارك في جبل الزاوية والغوطتين والساحل وحوارن وجبل العرب، وبرزت اسماء ابطال عديدين كابراهيم هنانو، وصالح العلي، وسلطان باشا الاطرش، وحسن الخراط، ومحمد الأشمر، واحمد مريود، وغيرهم كثر، ومن المعارك الشهيرة التي خاضها الثوار ضد فرنسا معركة جبل الزاوية والساحل ومعارك الغوطة والكفر والمزرعة والمسيطرة، وكل هذا المعارك اظهرت بطولات ادهشت فرنسا وارعبتها، وقد قام عدة ضباط فرنسيين بتوثيق هذه المعارك في كتب ترجم بعضها للغة العربية وفيها الكثير من اشادة العدو بالابطال السوريين...

في نهاية المطاف توحدت الجهود التي كانت مبعثرة الى حد ما وقرر القادة السوريون اشعال ماسمي بالثورة السورية الكبرى التي اوكلت قيادتها للمجاهد الكبير سلطان باشا الاطرش التي قادها نحو النصر على المستعمر الفرنسي الذي حاول جاهداً بما استعمله من بطش واستتجار الجيوش المدججة بادوات القتل لقمع هذه الثورة التي لم يكن التهاون او التراجع او التراخي ليذكر في قاموسها فواصلت الحرب وبشتى الطرق، حتى وصلت في نهاية الامر الى اجبار فرنسا على الانسحاب، ونيل الاستقلال لسورية والسوريين...

ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الأبطال المزروعين رحما على تخوم سورية وحدودها، ويذودون عن ترابها المقدس بدمائهم وارواحهم، ويقدمون قوافل الشهداء هم احفاد الابطال الذين حرروا سورية من فرنسا وكتبوا استقلال سورية بحروف من نور ودماء.

احتفلت سورية منذ أيام بالذكرى المئة لمعركة ميسلون المشرفة التي خاضها السوريون وكعادتهم دائماً نيابة عن الأمة العربية، لأن سورية وجيشها البطل اعتادا ومنذ أقدم العصور أن يدهفا ضريبة الدم نيابة عن العرب كل العرب، ولهذه المعركة بالذات خصوصية تدعو الى الفخر والاعتزاز، لأن المعركة كانت معروفة النتائج مسبقاً، وأقرب ماتكون الى اختيار الموت وتفضيله على الحياة في لحظة مفضلية من تاريخ هذه الامة حين وصل الإنذار الذي سمي بانذار غورو آنذاك، والذي حمل بين سطوره الكثير من عنجبية الاستعمار الفرنسي الذي يعتد بما يملك من قوة وأسلحة متطورة فتاكة أعدها لمجابهة ماتبقى من جيش لا يملك أذناك سوى البندقية الفردية، والقليل من الذخيرة التي لا تكفي لمواجهة كتيبة عادية، فكيف وقد وجدت نفسها في مواجهة جيش جرار يملك كل ادوات القتل والبطش، وقد جاء مدججا بالحقن قبل ان يدجج بالسلح المتطور الذي أعد لمجابهة جيوش وليس حامية صغيرة...

الشهيد البطل يوسف العظمة الذي قاد هؤلاء الفرسان الشجعان كان يدرك مسبقاً انه ذاهب وفرسانه الى الموت، لأنه يعلم كعسكري خبير متمرس قوة الجيش الذي تحتم عليه ان يجابهه، وحينما قدمت له النصيحة للتراجع عن قراره هذا أجاب بعنفوان الشرفاء المخلصين لتراب الوطن وقديسيته: انني أعلم أن مصيرنا هو الموت، ولكننا ان متنا فحي سبيل الكرامة والأرض، وسنكون بعداد الشهداء من الاجداد الذين سبقونا الى الشهادة والخلود، وكذلك سنكون قد اجبنا الجنرال غورو المتعالي والمتعطر. أجبناه على رسالته لنبين له عملاً وواقعاً على الأرض: انك تستطيع بجيش الجرار هذا، وادوات القتل التي تملكها ان تدخل سورية ولكن دخولك لم يكن زهواً وها نحن هنا نجابهك بما نملك، ولن تدخلها قبل ان نثبت لك بان هذه الارض مقدسة بالنسبة لنا ونحن على أهبة الاستعداد للدفاع عنها باعز مانملك وهي الروح والدم وقد قمنا بتقديمهما بيسر على مذبح الوطن...

في اللحظات الحاسمة، وحين تتأرجح الروح بين الحياة والموت يلزم المرء جرعة من الشجاعة التي يجعلها حب الوطن وترايه، من اجل ان يتخذ القرار، فاي لحظة تلك التي مر بها هذا القائد العربي السوري البطل وهو يوازن بين تمسك المرء بالحياة، ونداء الوطن الذي رضع السوريون محبته مع حليب الامهات؟؟ المشهد ماثل في خيالي واكتد اسمع بعض الكلمات الهامسة التي قالها هذا البطل وهو ينحاز الى تراب الوطن، والاحترق بشعلته المقدسة التي اضاءتها ارواح الشهداء...

اذن اتخذ البطل قراره، وميسلون وترايبها الذي رواه الدم، وهضابها العابقة بعطر الشهادة والشهداء يذكرا لحظة التصدي للجيش الفرنسي وايقافه وتشتت جنوده الذين فوجئوا ببسالة هؤلاء الشجعان واستماتتهم في الدفاع عن الأرض، لانهم لم يعتادوا على مواجهة ابطال يعمر قلوبهم الايمان بحب الوطن والرغبة المستميتة للدفاع عن ترابه وكرامته...

وانتهت المعركة كما كان متوقعا لها، اذ نحن في معركة بين خصمين غير متكافئين واستشد البطل وغالبية رجاله، ودخلت فرنسا سورية مدججة بالحقن قبل العتاد، وراحت تجرب سياساتها مع السوريين، مرة باللين والاعراض والاموال وتقديم المناصب لزعماء العشائر والعائلات، ومرة بالتهديد والوعيد والقتل والبطش، الا انها اكتشفت بعد ان قسمت سورية الى عدة دويلات، وحاولت اذكاء الطائفية والعائلية والمذهبية ان السوريين ما اعتادوا ايوما على التفرقة والتناحر وتشتيت الاهداف، بل اعتادوا ان يعيشوا اسرة واحدة متحبة متعاون متكاتفة، يربطها حب

mouhammad.houdaifi@gmail.com

## بيان اتحاد الكتاب العرب ندين كل شكل من أشكال التطبيع

يستنكر اتحاد الكتاب العرب ويدين بشدة هذا التسابق المقيت لسياسات بعض الأنظمة العربية من أجل التطبيع مع العدو الصهيوني من دون سبب أو علة سوى كسب الرضا الأمريكي الذي يريد، وعبور رؤاه الاستراتيجية، أن يجعل الكيان الصهيونية المستجلبه كيانية طبيعية في المنطقة العربية.

إن ما تسعى إليه بعض هذه السياسات من تلاهث محموم تجاه تطبيع علاقاتها مع الكيان الصهيوني لهو السبب الجوهرى الهادف إلى الرضا بتشريد الشعب الفلسطيني، وتصفية قضيته وحقوقه بعد نضال مشرف قارب مئة سنة، قدّم خلالها أشرف الأرواح وأنبأها من أجل أن تظل فلسطين عربية مصانة بحقوقها وتاريخها وانتسابها للأمة العربية.

إننا في اتحاد الكتاب العرب، وانطلاقاً من أهدافنا الثابتة، ندين - وبأشد العبارات وأقساها - إعلان تطبيع العلاقات بين دولة الإمارات العربية المتحدة والكيان الصهيوني، ونهيب بقيادة دولة الإمارات العربية المتحدة التراجع عن هذا القرار الذي يضر بمصالح الأمة العربية الواحدة، كما يضر بمصالح أبناء الشعب الفلسطيني الذين ما زالوا يحملون سلاح المقاومة لتحرير فلسطين.

إن مثل هذه الخطوات السياسية الخاطئة، الظاهرة منها والمخفية، إنما تهدف إلى تعزيز وجود الكيان الصهيوني المحتل من جهة، والموافقة على كل ما يقوم به من ممارسات دموية باطشة ضد الفلسطينيين، والموافقة على كل ما يقوم به من تهديد للوجود العربي، ولا سيما البلدان التي تحيط به.

إن هذه الخطوات الهادفة إلى التطبيع هي خطوات مرفوضة جملة وتفصيلاً لأنها لا تضر بالبعدين الوطني والقومي العربيين فحسب، وإنما تضر بالبعد الإنساني لأن قيام الكيان الصهيوني جاء على حساب الشعب الفلسطيني الذي هجر من أرضه، وبالقوة والدعم الغربيين المشينين.

إن اتحاد الكتاب العرب يدين كل شكل من أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني لأنه اعتداء على الحقوق والمبادئ الوطنية والقومية والإنسانية.

عاشت فلسطين حرة عربية

اتحاد الكتاب العرب